The Islamic University–Gaza
Research and Postgraduate Affairs
Faculty of Arts
Master of Arabic Language

الجامعـــــــــة الإســــلاميــة- غـزة
شئون البحث العلمي والدراسات العليا
كـــليــــــــــــــــــــــة الآداب
ماجستيـر الـــلغــــة العــــربيـــــة

صوت الضاد في اللغة العربية
(دراسة وصفية تاريخية)

The sound of aldadu (ض) in Arabic Language
(A Historical descriptive study)

إعداد الطالب:

نضال أحمد الشريف

إشراف

الأستاذ الدكتور:

محمد رمضان البع

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالًا لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ
فِي اللغة العربية بِكُليةِ الآداب فِي الْجَامِعَةِ الإسلامِيةِ بِغَزة

شوال 1438هـ/ يوليو 2017م

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

صوت الضاد في اللغة العربية

(دراسة وصفية تاريخية)

The sound of aldadu (ض) in Arabic Language

A Historical descriptive study

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	نضال أحمد محمد الشريف	اسم الطالب:
Signature:		التوقيع:
Date:		التاريخ:

http://abbassa.wordpress.com تحميل كتب

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية غزة

The Islamic University of Gaza

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا **هاتف داخلي 1150**

الرقم: ج س غ/35/ Ref:

التاريخ: 2017/9/17م Date:

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **نضال أحمد محمد الشريف** لنيل درجة الماجستير في **كلية *الآداب*/ قسم اللغة العربية**، وموضوعها:

صوت الضاد في اللغة العربية - دراسة وصفية تاريخية

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الأحد 26 ذو الحجة 1438هـ، الموافق 2017/9/17م الساعة العاشرة صباحاً، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. محمد رمضان البع	**مشرفاً و رئيساً**	....
د. إبراهيم رجب بخيت	**مناقشاً داخلياً**	....
د. عبد الرحمن يوسف الجمل	**مناقشاً خارجياً**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية *الآداب*/قسم اللغة العربية.**

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. مازن اسماعيل هنية

ملخص الرسالة

يعالج هذا البحث قضيةً صوتيةً كَثُر الحديث عنها، ألا وهي صوت الضاد العربية، وما يتعلق به من مخرجٍ وصفاتٍ، وما لحق بهذا الصوت من تغيراتٍ صوتيةٍ؛ بسبب عوامل زمنيةٍ وجغرافيةٍ وسياسيةٍ، وما نتج عن ذلك من تغيّرٍ دلالي، كما استُخدِم في هذا البحث المنهج الوصفي والتاريخي مدعّمًا بنماذج تطبيقية لغوية، وقد احتوى متن البحث على تمهيدٍ وثلاثة فصول كما يأتي:

التمهيد:

تطرق الباحث فيه للحديث عن مفهوم اللغة وأهميتها للإنسان، وعن تميز اللغة العربية عن سائر اللغات، ثم تحدَّثَ عن تميُّز اللسان العربي بكثرة استعماله لِلضَّاد؛ وبالتالي اشتهار العربية بها، وأخيرًا توصّل الباحث في ختام تمهيده إلى أنّ مشكلة النطق بالضاد مشكلةٌ قديمةٌ حديثةٌ متجددةٌ.

الفصل الأول:

وجاء في مبحثين اثنين، خُصِّصَ الأول منهما للحديث عن مفهوم المخرج، واختلاف القدماء والمحدثين في تحديد مخرج صوت الضاد بناءً على اللفظ. أمّا المبحث الثاني فكان الحديث فيه عن مفهوم الصفة، وعن الصفات التي أثبتها اللغويون والمجوّدون لصوت الضاد، وهي الاستعلاء، والإطباق، والرخاوة، والجهر، والاستطالة.

الفصل الثاني:

وقد خصصه الباحث للحديث عن التغيرات الصوتية لصوت الضاد في بعض اللهجات، حيث كان الحديث فيه عن ظاهرة إبدال الضاد من جهة بالظاء واللام المغلظة والزاي والذال من جهةٍ أخرى، وكيفية علاج هذه المشاكل اللغوية، وقد جاء هذا الفصل في ثلاثة مباحث.

الفصل الثالث:

تناول الباحث فيه الجانب التطبيقي من هذا البحث، حيث تناول في المبحث الأول تطبيقات من القرآن الكريم، بينما في المبحث الثاني فتناول تطبيقاتٍ من الحديث الشريف، وأمّا المبحث الثالث فقد أُثرِي بنماذجَ من الشعرِ العربيّ، وخلص الباحث في هذا الفصل إلى أن إبدال الضاد ظاءً يغير المعنى ويفسده في كثير من المواضع.

الخاتمة:

حيث اشتملت على النتائج والتوصيات، وتلاها عددٌ من الفهارسِ الفنيةِ تضمنت القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي.

Abstract

This study investigated an important phonetic issue that is commonly discussed, which is the sound of Dhaad letter in Arabic. This included its attributes, articulation point, and its pronunciation development over time due to historical, geographic and political factors. The study implemented the descriptive and historical approaches supported by linguistic practical examples. The study included an introduction, and three chapters as follows:

The Introduction:

In the introduction, the study discussed the concept of language and its importance to human, in addition to the distinction of Arabic language on other languages. The study also presented the distinction of the Arabic tongue in the abundance use of Dhaad letter, which distinguishes the Arabic language. At the end of the introduction, the study concluded that the pronunciation problems associated with Dhaad letter are renewing ones that have deep roots in the history.

Chapter 1:

This chapter included two sections. The first one was devoted to disuss the meaning of Makhraj (articulation point of letters). The dispute between the early and contemporary scholars in specifying the articulation point of Dhaad was discussed. The second section discussed the concept of letter attribute, and the attributes that were confirmed for Dhaad letter by linguistics and scholars of Tajweed. These attributes are Iste'laa', Itbaaq, rakhaawah, Jahr, and Ititaalah.

Chapter 2:

The researcher devoted this chapter to discuss the sound changes of Dhaad letter in some dialects. The study discussed the conversion of Dhaad into Zaad, thickened Laam, Zaai, and Zaal, and investigated the way of fixing such mistakes through three sections.

Chapter 3:

This chapter tackles the practical aspect of this research. The first section discussed some applications from the Noble Quran, while the second section presented some applications from the Sunnah (Hadiths). The third section enriched the study with some examples from Arabic poetry. The study concluded at the end of this chapter that the conversion of Dhaad into Zaad changes and spoils the meaning in many places.

The thesis was then concluded with a conclusion that included the results and recommendations. This is followed by several technical indexes.

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ (1)

---

(1) [الزمر: 28].

الإهداء

إلى والدي الغالي الكريم، ووالدتي العزيزة الحنونة:

اللّذَيْنِ ربياني صغيرًا، وسهرا على تربيتي وراحتي...

وكان لهما الفضل بعد الله –عز وجل– في تعليمي، ووصولي إلى هذا المستوى الرفيع...

إلى زوجتي الغالية المثابرة:

التي وقفت إلى جانبي، وتحملت معي مشاقّ الحياة...

ولم تبخل عليّ بجهدها، وصبرت على انشغالي عنها...

إلى ابني محمد:

فلذة كبدي ومهجة فؤادي ...

إلى إخوتي، وأخواتي، وأصدقائي، وأحبابِي:

الذين ساهموا معي بكل ما يستطيعون من جهد...

تعجز الكلمات عن مكافأتهم والثناء عليهم...

إلى كلِّ من علمني حرفًا:

فكان حرفه نبراسًا لي في حياتي، أضاء ظلماتٍ، ورفع عثرات...

إلى رجال التحرير، وقود النصر:

الشهداءِ الذين ضحوا بأغلى ما يملكون في سبيل اللهِ إعلاءً لرايته...

أسرانا البواسل، أبطالِ الحريةِ خلف قضبان الاحتلال الغاشم...

إلى لغتي العربية التي أنطق بها، وأرتوي من مائها، وأُسقى من عبيرها...

إليهم أُهدي هذا العملَ المتواضع، راجيًا من المولى عز وجل أن أَكون عند حسن ظنهم، إنه نعم المولى ونعم النصير.

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بفضله ونعمته تتم الصالحات، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه، يقول تبارك وتعالى:﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾(1).

اعترافًا بالفضلِ لأهله، والعملِ الحسنِ لذويه، أشكر الله ﷻ أولًا وآخرًا على تيسيره لي إتمام هذا البحث على هذا الوجه؛ فهو أولى بالشكرِ، وأجدرُ بالثناء.

وانطلاقًا من التوجيه النبوي الكريم "من لا يشكرُ الناسَ لا يشكرُ اللهَ"(2)، فإني بعد شكر الله على نعمه الكثيرةِ التي لا تعد ولا تحصى، أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى جامعتي العتيدة، الجامعةِ الإسلامية، وعلى رأسها كليةُ الآداب، مخرجةُ العلماءِ والأدباء واللغويين ومعلمي الناسِ الخير، على ما قدمته من خدمةٍ عظيمةٍ جليلةٍ لي في مسيرتي التعليمية الجامعية، كما أخص بالشُّكر والامتنان العظيمين أساتذتي الكرام الَّذين تولّوا مهمَّة تدريسِ المساقاتِ التَّمهيديَّةِ الَّتي أنارت لي طريق البحث والمعرفة.

كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى فضيلة الأستاذِ الدكتور/ **محمد رمضان البع –حفظه الله**– ، الذي أفتخر بإشرافه على هذا البحث، والذي لم يبخل عليّ بعلمه وخبرته وجهده، فكان نعم المعلمُ ونعم الموجهُ والمرشد، فترك بصماتِه العلمية في طيّات هذا البحث، فجزاه الله عنَّي وعن طلاب العلم خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر والتقدير لأستاذيّ الكريمين اللَّذين تفضّلا بمناقشة هذا البحث: الدكتور/ **عبد الرحمن يوسف الجمل**، والدكتور/ **إبراهيم رجب بخيت**؛ لما بذلاه من جهدٍ ووقتٍ في قراءتها رغم أعبائهما الكثيرة، وأسأله سبحانه أن ينفعني بملاحظاتهما؛ لتحسين هذا البحث وتنقيحه.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتقدمَ بالشكر والتقدير لكل من وقف بجانبي، وساهم معي ولو بدعوةٍ صادقةٍ في ظهر الغيب، فهم لا يحيط الكلامُ بمكافأتِهم، ولا يتسعُ المقامُ لذكرهم، فجزاهم الله عنّا خير الجزاء.

واللهُ الموفق والهادي إلى سواء السبيل

وصلى الله وسلم وبارك على محمد

وعلى آله وأصحابه أجمعين

---

(1) [النمل: 19].

(2) [الترمذي: سنن الترمذي، البر والصلة/ الشكر لمن أحسن إليك، 339/4 رقم الحديث 1954، وقال: حسن صحيح].

فهرس المحتويات

المـقـدمـــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعين به، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا ونبينا وحبيبنا محمدٍ، خيرِ من نطق بالضادِ وأفصحِهم، أدّى الأمانة، وبلّغ الرسالة، ونصحَ الأمة، فزالَ الضلالُ وأشرقَ الهدى. وعلى آله وأصحابه وأتباعه نَصَرَةِ الحقّ وحَمَلَةِ الدين، إلى أن يقوم الناسُ لرب العالمين.

أما بعد؛

فلقد عنِيَ علماءُ اللغة العربية بمعالجة أصوات الحروف، فدرسوا مخارجَها وتطورَها، وحددوا أصول النطق فيها، فتركوا لنا تراثًا ضخمًا من الموروثِ اللغويّ الصوتِي، هو الآن موضعُ عنايةٍ واهتمامٍ عند الباحثين.

ومن أبرز هذه الأصوات التي استأثرت عندهم بالبحث والدراسة صوت الضاد، وصوت الضاد في اللغة العربية دار حوله جدلٌ طويلٌ، ولا تكاد تجد في كتب الأصوات العربية ولا في كتب التجويد أكثر تناولًا للدراسة، وإثارةً للجدلِ من حرف الضاد، ومن أجل ذلك قيل إنّ اللغةَ العربيةَ لغةُ الضادِ!! (1)

ومن أكبر المسائل التي يقف عندها قرّاء القرآنِ الكريمِ –عربهم وعجمهم –حرفُ الضاد، وهذا كان من أكبر الدواعي للبحث في هذا الموضوع، والغوص فيه لنحصل على درر ولآلئ تضيء لنا طريق الهداية والعلم والمعرفة.

ومشكلة الضاد قد بدأت فعليًا، وظهرت جليًا بعد انتشار الدين الإسلامي، ودخول الأعاجم من القوميات غير العربية في دين الإسلام، الذي اختار اللهُ –عز وجل – اللغةَ العربيةَ حاضنةً له؛ مما أدى إلى اختلاط الضاد العربية الفصيحة بالأحرف الأعجمية المشابهة لها.

---

(1) وقد أفردت مطلبًا كاملًا في الفصل التمهيدي للحديث عن علاقة اللغة العربية بالضاد عنونته بعنوان "العربية وصوت الضاد".

وقد قام علماء اللغة العربية والتجويد برصد التغيّراتِ والتبدّلاتِ الصوتيةِ والأخطاءِ التي اعترت نطق أصوات اللغة العربية؛ مما يعرض الناطقين بها من المسلمين للحن في القرآن وما يترتب على ذلك من تغيير في معاني القرآن الكريم.

وكانت مشكلة صعوبة نطق الضاد على غير العرب وعلى العرب ممن لم يعتدْ على نطق الضاد الفصيحة من أبرز المشاكل الصوتية التي واجهت المسلمين في القرون الأولى، واستمرت إلى هذه اللحظة؛ فأُفردتْ مؤلفاتٌ خاصةٌ بحرف الضاد، وقد وفقني الله للقيام بدراسة ما وصل إليّ من هذه المؤلفات والبحث فيها، فجمعت مادةً علميةً تناولت من خلالها هذا الموضوع من جميع جوانبه قدر المستطاع، وحسب ما تيسّر من مراجع لمادة هذا البحث، فأسأل الله أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كل طالب للعلم والفائدة، وأن ينال قبول واستحسان أساتذتي الكرام، وأن يوفقني لأن أكون خدمًا للغة وحيه، إن أُريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

أولًا/ أهمية البحث:

❋ كثرة الأخطاء في نطق حرف الضاد، وشيوعها، وتنوعها، حتى أصبح كثيرٌ من العرب لا يميّز بين صوت الضاد الأصلية والأصوات المبدلة منه.

❋ أهمية النطق الصحيح للضاد في تلاوة القرآن الكريم، وأثر النطق الخاطئ على تغير المعنى القرآني.

ثانيًا/ أسباب اختيار الموضوع:

❋ السبب الرئيسي الذي دعاني إلى اختيار هذا الموضوع هو عملي في تدريس القرآن الكريم، حفظًا وتلاوتًا وتجويدًا، حيث كانت مشكلة نطق صوت الضاد من أبرز المشكلات الشائعة لدى طلاب دورات الأحكام؛ فأحببت أن أكتب في هذا الموضوع جامعًا فيه بين تخصصي في اللغة العربية واطّلاعي على وجوه القراءات وأسانيدها.

❈ الخلط الشديد الذي وقع فيه العامة بين الضاد وحروف أخرى مما أدى إلى تغيير المعنى في كثير من الكلمات؛ فكان لا بد من البحث في هذه المسألة، وتقديم ما يوفقني الله إليه للقارئ الكريم.

❈ عدم وجود أبحاث محكمة تدرس بشمولية موضوع الخلاف اللغوي حول الضاد، وأبعاده، وجوانبه التطبيقية؛ فآثرت أن أنفرد بشمولية الفكرة والتطبيق.

ثالثًا/ أهداف البحث:

❈ معرفة ما قاله وكتبه القدماء والمحدثون من اللغويين والمجودين عن صوت الضاد.

❈ التعرف على النطق الصحيح للضاد الفصيحة ومخرجها وصفاتها.

❈ إصلاح الأخطاء اللغوية والصوتية التي اعترت صوت الضاد.

❈ إثبات وجود ظاهرة إبدال الضاد بأصوات أخرى، كالظاء والذال والزاي واللام، وبيان كيفية الحفاظ على الضاد الفصيحة.

❈ بيان تغير المعنى بتغير وإبدال حرف الضاد، من خلال التطبيق على بعض الكلمات القرآنية واللغوية المختلفة.

رابعًا/ الدراسات السابقة:

هناك اتجاهان في دراسة صوت الضاد من حيث التصنيف والتأليف وهما:

الاتجاه الأول: يتمثل في العناية بالألفاظ التي تنطق بالضاد والظاء، والاشتغال بحصرها وتأليف الرسائل والكتب في ذلك، وهذا الاتجاه هو الذي استأثر بجهود كثير من اللغويين والنحاة والقرّاء القدماء، حيث تركوا لنا مؤلفاتٍ كثيرة تهتم بالتمييز الكتابي بين الضاد والظاء، ولا تتعرض للتمييز الصوتي لها، ومن هذه المؤلفات ما يلي:

- الاعتماد في نظائر الظاء والضاد لمؤلفه ابن مالك.

- كتاب في معرفة الضاد والظاء لمؤلفه أبي الحسن بن أبي الفرج القيسي الصقلي.

- كتاب معرفة ما يكتب بالضاد والظاء لمؤلفه سعد بن علي بن محمد الزنجاني.

- فصل القضاء في الفرق بين الضاد والظاء لمؤلفه أحمد عزت.

- الفرق بين الضاد والظاء لمؤلفه أبي بكر الموصلي.

أما الاتجاه الثاني: فيتمثل في دراسة الخصائص الصوتية لصوت الضاد العربية، والانحرافات التي تلحقه على ألسنة الناطقين، وتوضح الصورة الصحيحة لنطقه، وقد كان عدد المؤلفات في هذا الاتجاه أقل نسبيًا من المؤلفات في الاتجاه الأول، وكان لعلماء التجويد القسط الأوفى في هذا الدرب؛ وذلك لشعورهم بخطورة هذه المشكلة على تلاوة القرآن الكريم، فألفوا في ذلك المؤلفات المستقلة التي تهتم بنواحي النطق من غير أن تهتم كثيرًا بالتعرض لحصر الألفاظ التي تكتب بالضاد أو الظاء، كما كان للغويين المحدثين دورٌ بارزٌ في هذا المجال، ومن هذه المؤلفات ما يلي:

- غاية المراد في معرفة إخراج الضاد لشمس الدين بن النجار.

- المراد في كيفية النطق بالضاد لعيسى بن عبد العزيز اللخمي الاسكندري.

- فتوى في مسألة الضاد لعلي بن محسن الصعيدي الأزهري.

- الضاد العربية في ضوء القراءات القرآنية لعبد اللطيف محمد الخطيب.

- صوت الضاد وتغيراته في ضوء المعجم العربي لأحمد عبد الحميد هريدي.

وسيقوم الباحث في دراسته هذه بالجمع بين هذين الاتجاهين قدر المستطاع، زيادةً في الإيضاح وإتمامًا للمعرفة.

خامسًا/ منهج البحث:

اعتمد الباحث في التمهيد والفصلين الأول والثاني من هذا البحث المنهج الوصفي التاريخي؛ وهذا يعد المنهج المناسب لعرض كل ما يتعلق بصوت الضاد، والتغيرات الصوتية عليه على مرِّ العصور، كما أنه يناسب عرض الآراء الصوتية عند القدماء والمحدثين من اللغويين والقراء، بينما درس الموضوع في الفصل الثالث والأخير دراسةً تطبيقيةً؛ حيث قام بعرض نماذج تطبيقية من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي، لإثبات الاستقلالية الصوتية لحرف الضاد.

سادسًا/ هيكلية البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول والخاتمة متضمنة لأهم النتائج والتوصيات، إضافة إلى الفهارس العامة، وذلك على النحو الآتي:

التمهيد: مدخل لمبحث صوت الضاد العربية اللسانية.

وفيه التعرف على أهمية اللغة بشكل عام، واللغة العربية بشكلٍ خاص، وعلاقة اللغة العربية بحرف الضاد، وأخيرًا نشأة مشكلة صوت الضاد.

الفصل الأول: الضاد مخرجًا وصفةً.

ويحتوي هذا الفصل على المباحث التالية:

المبحث الأول: مخرج صوت الضاد.

المبحث الثاني: صفات صوت الضاد.

الفصل الثاني: التغيرات الصوتية للضاد في بعض اللهجات قديمًا وحديثا.

ويحتوي هذا الفصل على المباحث التالية:

المبحث الأول: إبدال صوت الضاد بصوت الظاء.

المبحث الثاني: إبدال صوت الضاد بصوت اللام المغلظة.

المبحث الثالث: إبدال صوت الضاد بصوتي الزاي والذال.

الفصل الثالث: تطبيقات لغوية.

ويحتوي هذا الفصل على المباحث التالية:

المبحث الأول: تطبيقات على القرآن الكريم.

المبحث الثاني: تطبيقات على الحديث الشريف.

المبحث الثالث: تطبيقات على الشعر العربي.

الخاتمة: وتتضمن ما يلي:

النتائج

التوصيات

الفهارس العامة: وتتضمن ما يلي:

فهرس القرآن الكريم

فهرس الحديث الشريف

فهرس الشعر العربي

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

وبعدُ، فهذه حصيلةُ جهدي، وهو جهدُ المُقِلِّ، ومن المعلوم المتفق عليه بين العقلاء عبر العصور أن الكمالَ للهِ وحدهُ العليِّ الكبير، والنقصَ والقصورَ صفَةٌ لا تفارق البشرَ، وقد بذلتُ كلَّ طاقتي حتى يخرجَ هذا البحث في أبهى صورةٍ وأفضلِ وَجه، فإنْ وُفّقتُ في ذلك وأصبتُ فهذا من عظيمِ فضلِ اللهِ ﷻ ومنّه وكرمِه، وإن أخفقتُ وزلَلتُ، فأنا بشرٌ من البشر أخطئُ وأصيب، وتلازمني صِفَةُ النَّقصِ التي تُلازمُ النّفسَ البشرية، وأسألُ اللهَ أن يعفوَ عني ويتجاوز عن زلَّتي وأن يلهمني السداد والصواب، ويوفقني لأن أكون جنديًا مدافعًا عن لغة القرآن الكريم، وأن يجعل بحثي هذا رافعًا من قدر اللغة العربية المرفوع قدرها بالقرآن، إنه وليّ ذلك والقادر عليه، وصلِّ اللهمَّ وسلِّم وبارِك على سيدنا محمدٍ، وعلى آلهِ وأصحابه والتابعينَ لسُنَّتِهِ إلى يومِ الدين.

التمهيد

المطلب الأول

أهمية اللغة

اللغة هي أهم العلامات المميزة لذات الإنسان، وهي إنجاز تراكمي تقوم عليه الحياة الاجتماعية، وقد عرّفها ابن جني (ت 392هـ) تعريفًا دقيقًا فاق فيه كثيرًا من اللغويين، فقال " أمَّا حدها فإنها أصواتٌ يعبر بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم" [1]، فاللغة في حقيقتها أصوات يصدرها الجهاز الصوتي للإنسان ليفصح من خلالها عن أفكاره واهتماماته وحاجاته ومتطلباته وكلّ مل يبتغيه.

وتعريف ابن جني للغة يشبه إلى حد كبير ما توصل إليه المحدثون من علماء اللغة، حيث جاء عندهم أن "اللُّغةَ: نِظامٌ من الرموزِ الصوتيَّة الاعتباطيةِ، يتمُّ بِواسطتها التَّعارفُ بين أفرادِ المُجتمعِ، تخضعُ هذه الأَصواتُ للوصفِ؛ من حيث المخارج أو الحركات التي يقومُ بها جهازُ النطق، ومن حيث الصفات والظواهر الصَّوتيةِ المصاحبة لِهذه الظواهرِ النطقية"[2]. وتشترك اللغات الإنسانية كافة في كلِّ مكان وزمان بوظائف تتعلق بالإنسان أذكر بإيجازٍ ثلاثًا منها:

1- إنَّ اللغةَ هي الركنُ الأول في عمليةِ التفكير:

فاللغة مرآة الفكر وأداته، تعتبر بمثابة المادة الخام التي يعالجها الدماغ البشري؛ لينتج بعد ذلك من خلالها الأفكار، فتتشكل العلوم وتترسخ الحضارات. واللغة كما جاء في تعريف المحدثين عبارة عن رموز، واستعمال الرمز يعين الإنسان على سهولة التصور، لا سيما أنه عندما ينقله إلى ذهن آخر فإنما ينقله إليه مستقلًا عن الانطباع المباشر، وهذا الذكاء الناشئ يجعل من اللغة شيئًا فشيئًا آلته الخاصة وأداته للتفكير [3].

2- إنها وعاءُ المعرفة:

تعد اللغة معرض الثـــقافة الإنسانية وحضارتها، تجمع في ثناياها العلوم والأفكار والثقافات والأديان وكل ما توصل إليه الإنسان عبر تاريخ وجوده على هذه البسيطة منذ سيدنا آدم –عليه السلام– إلى يومنا هذا، يقول هِردَر:"اللُّغةُ القوميَّةُ بمنزلةِ الوعاءِ الذي تتَشكّلُ به وتحفظُ فيه، وتنقلُ

(1) ابن جني، الخصائص (ج1 /33).

(2) عمايرة، في التحليل اللغوي (ص9).

(3) بتصرف: فندريس، اللغة (ص5).

بواسطتهِ أفكارُ الشعوبِ، إنَّ اللغةَ تَخلقُ العَقلَ أو علَى الأَقَلِّ تُؤثرُ فِي التَّفكِيرِ تأثيرًا عَمِيقًا، وتُسددهُ وَتُوجههُ تَوجِيهًا خَاصًّا، ولغةُ الشَّعبِ تتمثَّلُ فِي كل روحِ الشّعبِ نَفسهِ، إنَّ لغةَ الآباءِ والأَجدَادِ بمَثابةِ مُستودعٍ لكل مَا لِلشَّعبِ من ذخائر الفكرِ، والتقالِيدِ، والتاريخِ، والفلسَفةِ، والدينِ، إنَّ قَلبَ الشُّعوبِ يَنبضُ في لغَتهِ، إنَّ روحَ الشّعب تَكمن في لغة الآَباءِ والأَجدَادِ"[1].

3-إنها أداةُ التواصلِ البشريّ:

تعدُّ اللغةُ الوسيلةَ الأولى للتوصيل وللتواصلِ والتفاهم والتخاطب، وبثِّ المشاعر والأحاسيس، يعبر بها كل إنسان عمـــا يختلج في صدره من أفكار ومشاعر، "وعند جون ديوي أن اللغة ليست تعبيرًا عن المشاعر والأفكار فحسب، وإنما هي بالدرجة الأولى وسيلة اتصال بين أفراد جماعة تؤلف بينهم على صعيد واحد" [2].

فاللغة إذن هي "وسيلةُ اتصالِ الإنسان بغيره؛ بهدف قضاء حاجاتهِ، وَهِي وَسيلَةٌ لِلتَّعبيرِ عَن أحاسيسه وآلامهِ وآمَالِهِ، وَهِي أيضًا وسيلةٌ لإِقناعِ الآخرين بالرأي فِي مجالِ المناقشةِ، كمَا أنَّها وَسِيلةٌ للانتِفاعِ بِأَوقاتِ الفَراغِ بالقراءة والاستماع للاستفادة من تجاربِ الأَخرِينَ، يَقول مَاكْسُ نُوْرُدَاو :"باللُّغَةِ يتلقَّي الفَرْدُ كُلّ التراثِ الفِكريّ وَالشعورِيّ والأَخلاقِيّ والاجتِماعيّ للأُمَّةِ؛ سواءً ما انحدرَ عن قرائحِ الكُتَّابِ والشُّعراءِ والمفكرين، السَّالِفِين، وَالمعاصِرِين"[3].

وخلاصة الحديث أنّ اللغةَ من النعم العظيمة التي منحها الله للإنسان، ولولاها لما وصل الإنسان إلى ما وصل إليه من حضاراتٍ واختراعاتٍ وتطوراتٍ، ولفقدت الحياة معناها ولذتها، ولذلك وصف اللهُ اللغةَ وتنوعَها بالآية العظيمة، حيث قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [4].

---

(1) أولمان، اللغة بين القومية والعالمية (ص175).

(2) انظر: السيد، شؤون لغوية (ص110).

(3) ينظر: أولمان، اللغة بين القومية والعالمية (ص107).

(4) [الروم: 22].

المطلب الثاني

تميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات

لا يخفى على كل عاقل ما تتميز به اللغة العربية من مميزاتٍ خاصـــةٍ؛ فهي لغة القرآن الكريم والســنة المطهرة، أنزل الله بها كتابه، فارتفعت وســمت من بين اللغات، قال تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾[1]، وقال تعالى : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾[2].

ولذلك لا يمكن للمسلم أن يفهم القرآن ولا السنة ولا شرع ربه إلا بلغته العربية، وكذلك لن تُفهم مقاصد الإسلام المستمدة من القرآن والسنة إلا باللغة العربية، فهي اللغةُ التي اختارها الله – سبحانه وتعالى –من بين سائرِ لغات البشر لوحْيه؛ لما تمتازُ به من مميزات، أذكر بعضًا منها:

1- إنها لغة اشتقاقية:

حيث تتميز اللغة العربية بسعة مفرداتها ووفرتها، فأصبحت لغةً بعيدة الآفاق، مترامية الأطراف تتميز بالثراء، وغزارة الألفاظ والمفردات، فيكون للشيء ألفاظٌ كثيرةٌ تطلق عليه، فيما يعرف بالمترادفات، وكلٌ مرادفٍ له دلالة زائدة، ومما يكشف عن تعدد المترادفات وتنوع الدلالات في العربية ما ذكره جرجى زيدان، حيث قال: "في كل لغة مترادفات، أي عدة ألفاظ للمعنى الواحد، ولكنّ العرب فاقوا في ذلك سائر أمم الأرض، ففي لغتهم للسنة 24 اسمًا، وللنور 21 اسمًا، وللظلام 52 اسمًا، وللشمس 29 اسمًا، وللسحاب 50، وللمطر 64، وللبئر 88، وللماء 170 اسمًا، وللبن 13 اسمًا، وللعسل نحو ذلك، وللخمر 100 اسم، وللأسد 350 اسمًا، وللحية 100 اسم ومثل ذلك للجمل، أما الناقة فأسماؤها 255 اسمًا، وقس على ذلك أسماء الثور والفرس والحمار، وغيرها من الحيوانات التي كانت مألوفة عند العرب، وأسماء الأسلحة كالسيف والرمح وغيرهما، ناهيك بمترادفات الصفات، فعندهم للطويل 91 لفظًا، وللقصير 160 لفظًا، ونحو ذلك للشجاع والكريم والبخيل مما يضيق المقام عن استيفائه"[3]، وهذه الظاهرة المعجزة غير موجودة في أكثر اللغات الأخرى، يقول الإمام الشافعي – رحمه الله–: "لسانُ العربِ أوسع الألسنة مذهبًا، وأكثرها ألفاظًا، ولا نعلمه يحيط بجميعِ

---

(1) [يوسف: 2].

(2) [الشعراء: 195].

(3) زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية (ص45).

علمه إنسانٌ غير نبي"[1] ، ولو نظرنا إلى واقعنا، لوجدنا أن أكثر ألفاظ اللغة العربية غير مستعملة، بل إنّ كثيرًا منها غير معروف؛ قال أبو عمرو بن العلاء: "ما انتهى إليكم مما قالت العربُ إلا أقله، ولو جاءكم وافرًا، لجاءكم علمٌ وشعر كثير"[2]، فأبو عمرو في مقولته السابقة يصف ما وصل إلى عصره بالقليل، فكيف هو الحال في عصرنا هذا، وقد ابتعد العرب عن لغتهم، وضعفت قريحتهم؟ وصدق حافظ إبراهيم إذ يقول:

أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ * فَهَلْ سَاءَلُوا الغَوَّاصَ عَنْ صَدَفَاتِي؟** [3]

2- إنها لغة معربة:

تتميز اللغة العربية بأنها لغة الإعراب الذي هو " تغيُّرٌ يطرأُ على آخِرِ الكلمةِ بتأثيرِ العامِلِ الدَّاخِلِ عليها"[4]، فللّغة العربية قواعدها النحوية الخاصة في ضبط أواخر الكلمات، وفي تنظيم الجملة، والحفاظ على معناها، فالإعراب من أقوى عناصر اللغة العربية وأخص خصائصها، به يعرف الفاعل من المفعول، والجار من المجرور، والتعجب من الاستفهام.

وظاهرة الإعراب من خصائص اللغات السامية وبعض اللغات القديمة التي اندثرت مثل البابلية واليونانية واللاتينية والألمانية، ولكنّ اللغة العربية اختصت بالإعراب عن غيرها من اللغات المتحضرة، وللإعراب أهمية بالغة في ضبط الكلام العربي، والاحتراز من الوقوع في الخطأ، وحمل الأفكار، ونقل المفاهيم، ودفع الغموض، وفهم المراد، كما أنه يساعد على دقَّة التعبير والإيجاز وتنوُّع المعاني بأقلِّ قدرٍ من الكلمات. فابن فارس يقول: "من العلوم الجليلة الَّتِي خصت بِهَا العرب الإعرابُ الَّذِي هو الفارق بَيْنَ المعاني المتكافِئَة فِي اللفظ، وبه يعرف الخبر الَّذِي هو أصل الكلام، ولولاه مَا مُيّز فاعل من مفعول، ولا مضاف من مَنْعوت، ولا تَعَجُّبٌ من استفهام، ولا صَدْر من مصدَر، ولا نعتٌ من تأكيد"[5] وقال في موضع آخر" ألا ترى أن القائل إِذَا قال: "مَا أحسن زيد" لَمْ يفرّق بَيْنَ

---

(1) الشافعي، الرسالة (ص45-46).

(2) ابن عادل، تفسير اللباب (ج7 /186).

(3) إبراهيم، ديوان حافظ إبراهيم (ص254).

(4) العنزي، المنهاجُ المختَصر في عِلمي النَّحو وَالصَّرف (ج1/ 29).

(5) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة (ص43).

التعجب والاستفهام والذمّ إلاَّ بالإعراب "[1]، أي أن عبارة"ما أحسن زيد" غير معربة، لم يُفهَم المراد منها إلا بالإعراب، فإذا قال قائلٌ: "ما أحسَنَ زيدًا!" أو "ما أحسَنُ زيدٍ؟" أو"ما أحسَنَ زيدٌ"، أظهرت الحركةُ الإعرابيةُ المعنى الذى أراده، فالعبارة الأولى تعجبية تتعجب من حسن زيدٍ، بينما الثانية استفهامية تستفسر عن أحسن ما في زيدٍ، وأمّا الثالثة فنافية تنفي الإحسان عن زيدٍ.

3- إنها لغة التخفيف:

فاللغة العربية بطبيعتها تميل إلى اليسر والتخفيف، ومن مظاهر هذا التخفيفِ التخفيفُ في الحروف، فمن خصائص اللغة العربية أنها ثلاثية الألفاظ اللغوية، فقد أقام العرب معظم ألفاظهم على حروف ثلاثة لخفتها وإيجازها وسهولة النطق بها، فالكلمات الثلاثية قليلة في اللغات الأخرى بالمقارنة باللغة العربية، يقول ابن جني (ت 392هـ): " إنّ الأصول ثلاثة: ثلاثي، ورباعي، وخماسي. فأكثرها استعمالًا، وأعدلها تركيبًا الثلاثي. وذلك لأنه حرف يُبتدَأُ به وحرف يُحشى به وحرف يُوقف عليه "[2]، ثم يقول مُبيّنًا الحكمة من غلبة الثلاثي: "فتمكُّن الثلاثي إنما هو لقلَّة حروفه"[3].

ومن مظاهر التخفيف أيضًا التغيير الصرفي في بنية الكلمة بما يناسب يسر وخفة اللغة العربية، كالقلب والتخلص من التقاء الساكنين مثلًا، يقول ابن فارس: "وممَّا اختصَّت بِهِ لغةُ العرب قلبهم الحروف عن جهاتها؛ ليكون الثاني أخفَّ من الأوَّل، نحو قولهم: (ميعاد) ولم يقولوا: (مِوْعاد)، وهما من (الوعد)، إلاَّ أنَّ اللفظ الثاني أخفُّ، ومن ذلك تركُهم الجمعَ بين السَّاكنين، وقد تجتمع فِي لغة العجم ثلاثة سواكن"[4].

واللغة العربية تسعى لإيصال المعنى والمفاهيم بأقل عدد من الحروف والكلمات، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن كلمة (جد) في العربية تضاهيها كلمة (Grand-father) في الإنجليزية وكلمة (Le grand-pere) في الفرنسية وكلمة (Der Gross vater) في الألمانية.

ففي هذا المثال نلاحظ أنَّ كلمة (جد) مكونة من حرفَيْن، تُقابِلها كلماتٌ طويلة في اللغات الأوربيَّة قد تصل إلى عشرة أحرف أو تَزِيد، ومع ذلك فقد أدت الدلالة نفسها.

(1) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة (ص35).

(2) ابن جني، الخصائص (ج1/ 56).

(3) المرجع السابق، (ج1/ 57).

(4) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة (ص21).

ومن المعروف أنَّ أقصى ما تصل إليه الكلمات العربيَّة بالزيادة سبعة أحرف في الأسماء؛ كما في: (استِخراج، واستعمار)، وستَّة في الأفعال كما في: (استخرج، واستعمر)، في حين أنَّ الكلمات في اللغات الأوربية قد تصل إلى خمسة عشر حرفًا أو أكثر، كما فيinternationalism بمعنى الدولية، وincomprehensible بمعنى غامض في الإنجليزية، وenstschuldigung بمعنى معذرة في الألمانية.

ومن مظاهر هذا التخفيف في اللغة العربية الاختصار الذي تميل إليه العربية في التثنية والجمع فتكتفي مثلًا بالألف والنون للتثنية بدلًا من التكرير والإطالة كما هو الحال في اللغات الأخرى كقولنا الولدان بدلًا من ولد وولد، حيث إن هذه الكلمة تضاهي اللفظ (tow boys) في الإنجليزية على سبيل المثال.

ولا شكَّ أنَّ هذه الخاصيَّة تعد ميزة تميزت بها اللغة العربية؛ لما فيها من توفيرٍ للوقت والجهد؛ فالنطق بالكلمات الصغيرة أخفُّ على اللسان، وأحبُّ للقلب، وأسرع في الوقت، وأكثر اختصارًا في الكتابة من الكلمات الطويلة.

أخيرًا نستطيع القول بأننا نعجز عن حصر مزايا ومميزات هذه اللغة، التي حوت كلام رب العالمين، ووسعت سوره وآياته المعجزات، فسبحان من حبا اللغة العربية كلّ ذلك الفضل!!

المطلب الثالث

العربية وصوت الضاد

اشتُهرت اللغة العربية قديمًا وحديثًا بلغة الضاد، حتى غدت الضاد علامةً فارقةً للغةِ العربيةِ، وصارت العلاقةُ بينهما تلازمية، فإذا ذكرت الضادُ ذكرت اللغةُ العربية، وإذا ذكرت اللغة العربية ذكرت معها الضاد، وللبحث عن أصل هذه العلاقة، ننتقل إلى مقولة الأصمعي "ت216هـ"، حيث أول دليل يستدل به على هذه القضية، يقول الأصمعي في سياق بيان ميزة بعض حروف العربية: "ليس للرُّوم ضاد، ولا للفرس ثاءٌ، ولا للسُّريان دالٌ أو ذالٌ"(1)، فالأصمعي ينفي في هذه المقولة وجود الضاد في لغة الروم.

وفي القرن الرابع جاء في معجم جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري(ت 321 هـ) خلاصة ما لاحظه اللغويون السابقون على مدى أربعة قرون من اتصال العرب المسلمين واحتكاكهم بغيرهم من أبناء الأمم والأجناس والقوميات الأخرى ممن دخلوا في الإسلام، ويشير ابن دريد في هذه المقولة إلى وجود أحرف مستعملة بكثرة في اللغة العربية، مع قلة وندرة استعمالها في لغات العجم، وهي عبارة عن ستة أحرف، هي: العين والصاد والضاد والقاف والطاء والثاء، يقول ابن دريد: "اعلم أن الحروف التي استعملتها العرب في كلامها في الأسماء والأفعال والحركات والأصوات تسعة وعشرون مرجعهن إلى ثمانية وعشرين حرفا... ومنها: ستة أحرف للعرب ولقليل من العجم وهن: العين والصاد والضاد والقاف والطاء والثاء وما سوى ذلك فللخلق كلهم من العرب والعجم إلا الهمزة فإنها لم تأت من كلام العجم إلا في الابتداء"(2).

ويرى مكيُّ بن أبي طالب (ت437هـ) أنَّ تفرُّدَ العرب بصوت الضاد إنما هو بكثرة الاستعمال لا بتفرد الاستعمال ؛ يقول مكي: "ستَّة أحرف انفردت بكثرة استعمالِها العربُ، وهي قليلة في لغات بعضِ العجم، ولا توجد البتة في لغات كثير منهم، وهي: العين، والصاد، والضاد والقاف، والظاء، والثَّاء"(3) ؛ فهذه الأصوات الستَّة يكثُر دورانُها في اللسان العربي مُقارنةً بغيره من الألسُن البشريَّة، ولا يعني ذلك أنها مفقودةٌ منها بالكلّيَّة، ونلاحظ هنا استبدال مكي لحرف الظاء المعجمة بحرف الطاء

---

(1) الجاحظ، البيان والتبيين (ج65/1).

(2) ابن دريد، الجمهرة (ج1 /4).

(3) مكي، الرعاية (ص113).

المهملة – الحرف الخامس عند ابن دريد– ، ونحن في بحثنا هذا لسنا بصدد تحديد هذه الحروف الستة بقدر عنايتنا بحرف الضاد لإثبات تميزه.

ويؤكد فخر الدين أحمد بن الحسن الجاربردي(ت 746هـ) في شرحه لمتن الشافية في الصرف لابن الحاجب(ت646 هـ) اقتصار الضاد على العربية، قال الجاربردي في شرح الشافية(أصل حروف المعجم تسعة وعشرون على ما هو المشهور ولم يكمل عددها إلا في لغة العرب ولا همزة في كلام العجم إلا في الابتداء ولا ضاد إلا في العربية) [1] ويؤكد ابن جماعة (ت 819 هـ) في تعليقه على عبارة الجاربردي ما ذهب إليه مكيُّ بن أبي طالب من أنَّ تفرُّدَ العرب بصوت الضاد إنما هو بكثرة الاستعمال مقارنة باللغات الأخرى، فيقول معلقًا: (قوله: " ولا ضاد إلا في العربية " عبارة أبى حيان، والضاد من أصعب الحروف في النطق ومن الحروف التي انفردت العرب بكثرة استعمالها، وهي قليلة في لغة بعض العجم مفقودة في لغة الكثير منهم) [2].

وفي القرن التاسع الهجري نلاحظ تسرب مقولة مكي بن أبي طالب عن الحروف الستة التي انفردت بكثرة استعمالها للعرب إلى ابن الجزري (ت 833 هـ)، الذي قال في التمهيد (" وكذا ستة أحرف انفردت بكثرة استعمالها العرب وهي قليلة في لغة العجم ولا توجد في لغات كثيرة منهم وهي: العين والصاد والضاد والقاف والظاء والثاء) [3].

ويعلل إبراهيم أنيس–من المحدثين–سبب تسمية اللغة العربية بلغة الضاد بقوله: "يظهر أن الضاد القديمة كانت عصيَّةَ النُّطق على أهالي الأقطار التي فتحها العرب، أو حتى على بعض القبائل العربية في شبه الجزيرة، مما يفسِّر تلك التسمية القديمة لغة الضاد"[4]. والمُراد بالضاد القديمة هنا تلك الموصوفة في كتب القدامى، في مُقابل الحديثة المُتداوَلَة اليوم، والَّتي تُنطق بكيفيات تختلف باختلاف البيئات الجغرافية والاجتماعية.

ومع أن صوت الضاد ثبت وجوده في اللغات السامية القديمة بشكل عام[5]، لكنه لم يبق على حاله فيها وأصابه التغيير، بل إن كثيرًا من هذه اللغات اندثرت، ولم يبق لها في الواقع الصوتي

(1) الجاربردي، شرح الشافية (ج1/ 338).
(2) المرجع السابق، (ج1/ 338).
(3) ابن الجزري: محمد، التمهيد (ص102).
(4) انظر: أنيس، الأصوات اللغوية (ص4).
(5) انظر: بشر، علم الأصوات (ص271).

إلا بعض النقوش والآثار، فلذلك وسمت العربية به، فإذا أُطلق لفظ الضاد لم يَنصرِف إلاَّ إليها، وبه غدَا يُنعَتُ أهلُها، ولكون اللِّسان العربي من الألسُن القليلة التي تنطِقُه؛ صار وصفُ (لغة الضاد) عَلَمًا على العربيَّةِ، ولذلك افتخر شعراؤنا قديمًا وحديثًا بصوت الضاد، ونعتوا به لغتهم، وزينوا به قصائدهم، فأبو الطيِّب المتنبي "ت354هـ" يُنشِد مُفتخِرًا:

وَبِهِم فَخرُ كُلِّ مَن نَطَقَ الضا * دَ وَعَوذُ الجاني وَغَوثُ الطَرِيدِ**[1]

ويمتدح خليل مطران –من المحدثين – لغته بقوله:

لُغَـــةُ الضَّـــادِ لا تَضَنُّ عَلَيْكُمْ * إِنْ جَدَدْتُمْ بِكُلِّ مَا تَبْتَغُونَا**[2]

ونذكر هنا ما شاع لدى كثير من العرب المتعصبين للغتهم، وتأثر بهم آخرون، بأن اللغة العربية انفردت بصوت الضاد، ولا تشاركها فيه لغةٌ، فهذا كلامٌ غير دقيق وفيه مبالغة وتعصب غير مبنيٍّ على علم، فحكمٌ كهذا الحكم يجب أن يبنى على استقراء جميع اللغات، وهيهات لإنسان أن يستقرئ جميع اللغات، قال الإمام الشافعي –رحمه الله– عن لغةٍ واحدةٍ وهي اللغة العربية: " ولا نعلمه يحيط بجميعِ علمه إنسانٌ غير نبي"[3] ويعني هنا بالنبي الرجل المُوحَى إليه؛ لأن اللغةَ العربيةَ – على سبيل المثال– واسعةٌ، والعرب منتشرون في الجزيرة العربية وفي غيرها، فلا يستطيع أن يقول إنسانٌ هذا هو الكلام العربي كاملًا، فكيف بالإحاطة بلغات البشر كلها؟!

ويخلص الباحث إلى أنَّ تميُّز اللسان العربي بصوت الضاد إنما هو بكثرة استعماله له، لا في تفرُّده به، والكثرة المُشار إليها إنما هي بالنسبة إلى بقية اللغات، لا إلى اللغة العربية نفسها، لأن أصوات الإطباق أقل الأصوات ورودًا في العربية نظرًا لثقلها وصعوبة نطقها وما تحتاج إليه من جهد عضلي ومنها صوت الضاد حيث "إن نسبة الكلمات الضادية في العربية لا تُجاوِز الستَّة من كل ألف"[4].

(1) المتنبي، ديوانه (ص21).

(2) مطران، ديوانه (ج428/3).

(3) الشافعي، الرسالة (ص46).

(4) انظر: درار، الضاد العربية إلى أين؟ (ص87).

وبالرغم من تميز الضاد وتفردها، إلا أن وصفها أشكل على علماء اللغة والتجويد، وحيَّر الباحثين قديمًا وحديثًا، ويحاول الباحث في الفصل التالي دراسة أقوال العلماء والباحثين القدماء والمحدثين وصولًا إلى نتيجةٍ توضح كيفية أداء هذا الصوت وصفاته وخصائصه اللغوية.

المطلب الرابع

نشأة مشكلة صوت الضاد

بدأ الإحساس بمشكلة صوت الضاد منذ عهد الصحابة –رضوان الله عليهم–، من خلال خلطه بأصواتٍ أخرى، فقد ورد أن رجلًا قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين أيضحى بضبي؟ قال: وما عليك لو قلت: بظبي، قال: إنها لِغة – بالكسر –، قال: انقطع العتاب ولا يضحى بشيء من الوحش [1]، فعمر – رضي الله عنه –يعترض في هذه الحادثة على الأعرابي الذي يخلط بين الضاد والظاء.

وإذا كانت هذه المشكلة مشهورة في لهجة عربية بعينها في ذلك الوقت، إلا أنها لم تكن ظاهرة منتشرة بالشكل الذي وجد عقب انتشار الدين الإسلامي، وذلك بسبب دخول غير الأمم العربية من العجم على اختلاف ألسنتهم في الإسلام، وحاجة هذه الأمم إلى أداء الشعائر الإسلامية، وقراءة القرآن، وتعلم نطق اللغة العربية التي كانت تحتوي على عدد من الوحدات الصوتية التي لا توجد في اللغة الأم للمسلمين الجدد، كاللغة الفارسية والهندية والعبرية والسريانية والرومية والقبطية وغيرها، ثم تلاها تأثُّرُ كثيرٍ من العرب بهذه اللغات الدخيلة، وبدأ الخلط واللغط يدخل الأصوات العربية، وقد نبَّه ابنُ خلدون (ت 808 هـ) على ذلك بقوله: "فلمَّا جاء الإسلامُ، وفارقوا الحجاز... وخالطوا العجمَ – تغيرت تلك الملكةُ بما ألقى إليها السَّمعُ من المخالفاتِ التي للمستعربين من العجم؛ والسمع أبو الملكات اللسانية؛ ففسدت بما أُلقي إليها مما يغايرها لجنوحِها إليه باعتبارِ السمع، وخشي أهلُ الحلوم منهم أن تفسدَ تلك الملكة رأسًا بطولِ العهد؛ فينغلق القرآنُ والحديث على الفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامِهم قوانين لتلك الملكة مطَّردة شبه الكليات والقواعد، يقيسون عليها سائرَ أنواعِ الكلام، ويلحقون الأشباه منها بالأشباه"[2]. فابن خلدون في مقولته السابقة يحيل المشكلة إلى سماع الأصوات غير الفصيحة من الأعاجم، فأثّر ذلك بطبيعة الحال على النطق الفصيح، حيث أصبح الفصيح ثقيلًا على اللسان.

---

(1) السيوطي، المزهر (ج562/1–563).

(2) ابن خلدون، المقدمة (ج1/ 754).

وكان من أبرز الحروف التي وقع فيها الخلط والتحريف على إثر ذلك حرف الضاد، وقد صنف سيبويه (ت 180 هـ) (الضاد الضعيفة) ضمن الحروف غير المستحسنة [1]؛ وذلك لتغير نطقها عن الضاد الأصلية.

وفي المحصلة، فإن مشكلة صعوبة نطق الضاد على غير العرب وعلى العرب الذين تأثروا بالعجم وسايروهم في لغاتهم غدت من أبرز المشاكل الصوتية التي واجهت الناطقين بالعربية في القرون الأولى، واستمرت هذه المشكلة إلى وقتنا هذا.

فصوت الضاد القديمة كما سيأتي لاحقًا جانبي يخرج من إحدى حافتي اللسان مع ما يليها من الأضراس العليا وقيل من الحافتين معًا، وتتميز بصفاتٍ كالرخاوة والإطباق والجهر كما سجل ذلك علماء اللغة ومن بعدهم علماء التجويد، فأصبح لا يُنطق بها في الوقت المعاصر في اللهجات العامية الدارجة، بل صار النطق بها متنوع بين دولةٍ وأخرى، ففي مصر تلفظ دالًا مفخمةً وفي الخليج العربي تلفظ بصوت الظاء كما نلاحظ في هذه الأيام، هذا على سبيل المثال لا الحصر.

وممّا سبق نستطيع القول بأن مشكلة النطق بالضاد هي مشكلة قديمة حديثة، لكنّ هذه المشكلة بازدياد مع تقدم الزمن واختلاف البيئات والتداخل مع الأعاجم، وتنوع المؤثرات واللهجات.

---

(1) انظر: سيبويه، الكتاب (ج4/432).

الفصل الأول

الضاد مخرجًا وصفةً

المبحث الأول

مخرج صوت الضاد

المَطْلَبُ الأول: المخرج لغةً واصطلاحًا

المخرج لغةً:

جاء في لسان العرب لابن منظور (ت 711 هـ): خرج، الخُروج: نَقِيضُ الدُّخُولِ. خَرَجَ يَخْرُجُ خُرُوجًا ومَخْرَجًا، فَهُوَ خارِجٌ وخَرُوجٌ وخَرَّاجٌ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ وخَرَجَ بِهِ. الْجَوْهَرِيُّ (ت 393 هـ): قَدْ يَكُونُ المَخْرَجُ موضعَ الخُرُوجِ. يُقَالُ: خَرَجَ مَخْرَجًا حَسَنًا، وَهَذَا مَخْرَجُه. [1]

وَيكون مَكانًا وزَمانًا، فإِن الْقَاعِدَة أَنّ كلَّ فِعْلٍ ثلاثيَ يكون مُضارعُه غيرَ مكسورٍ يأْتي مِنْهُ الْمصدر والمَكَان والزَّمَان على المَفْعَل، بالفَتْح إلاّ مَا شَذَّ كالمَطْلِع والمَشْرِقِ، مِمَّا جاءَ بالوَجْهَيْنِ، وَمَا كَانَ مضارِعُه مكسورًا فَفِيهِ تفصيلٌ: المَصْدَر بِالْفَتْح، والزّمانُ والمكانُ بِالْكَسْرِ. [2]

فالمخرج بالمعنى اللغوي العام هو: مكان خروج الشيء، أو هو مكان الخروج.

أما المخرج اصطلاحًا:

فهو محل خروج الحرف الذي ينقطع عنده صوت النطق بالحرف فيتميز عن غيره [3]، أو هو النقطة التي يتم عندها الاعتراض في مجرى الهواء والتي يصدر الصوت فيها [4]، أي أن مخرج الحرف: هو وصف للحالة التي تكون عليها أعضاء النطق، بحيث تلتقي بكيفيات معينة، كاللسان والأسنان مثلًا، فيتولد صوت الحرف.

والآن، بعد أن تعرفنا على المخرج لغةً واصطلاحًا، سنتناول في المطالب التالية أقوال العلماء القدماء والمحدثين، وخلافاتهم حول مخرج صوت الضاد، الذي هو موضوع هذا البحث.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب (ج249/2).

(2) الزَّبيدي، تاج العروس (ج508/5).

(3) الحفيان، الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم (ص71).

(4) الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية (ص50).

المطلب الثاني

مخرج الضاد عند القدماء

وصف اللغويون العرب القدماء نطق صوت الضاد وصفًا دقيقًا رغم قلة الإمكانيات الفنية لديهم مقارنة بالعصر الحديث، وذلك فيما يخص مكانها في الفم، وطريقة إخراجها، معتمدين في ذلك على المشافهة، ولعلّ أول من تكلم عن مخارج الحروف هو الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ) في مقدمة معجمه العين والتي عدها العلماء أول درس صوتي عربي، وقد حدد فيها الخليل مخرج حرف الضاد، وعدّها في حيز الجيم والشين، وهما من الأصوات الشجرية أو الغارية التي تخرج من الغار وهو سقف الحنك الصلب. فقال وهو يذكر أحياز الحروف في كتاب العين " ثم الجيم والشين والضاد في حيز "[(1)].

وإنْ كان تحديد الخليل لمخرج الضاد يعتريه بعض الغموض والسطحية، فإنّ سيبويه كان أكثر دقة في تحديد المخرج حين ذكر في كتابه مخرج صوت الضاد: "ومن بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس مخرج الضاد"[(2)]. وهنا يحدد سيبويه مكان إخراج صوت الضاد بأنها جانبية وليست في حيز الجيم والشين، ويتابع المبرد سيبويه مبينًا مخرج صوت الضاد وموافقًا له، فيقول: "ومخرجها من الشدق [(3)]، فبعض الناس تجري له في الأيمن، وبعضهم تجري له في الأيسر"[(4)]، ثم يأتي ابن جني (ت 392هـ) ليجمع بين القولين في كتابه (سر صناعة الإعراب) فيقول: "ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر"[(5)].

ويأتي أبو حيان النحوي بخلاصة ما توصل إليه سابقوه كسيبويه والمبرد وابن جني، ولكنه في مقولته يغلّب الجانب الأيسر على الجانب الأيمن فيقول: "المخرج السابع: وهو للضاد، وهي من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر عند الأكثر، أو الأيمن عند الأقل، وكلام

---

(1) الفراهيدي، العين (ج58/1).

(2) سيبويه، الكتاب (ج433/4).

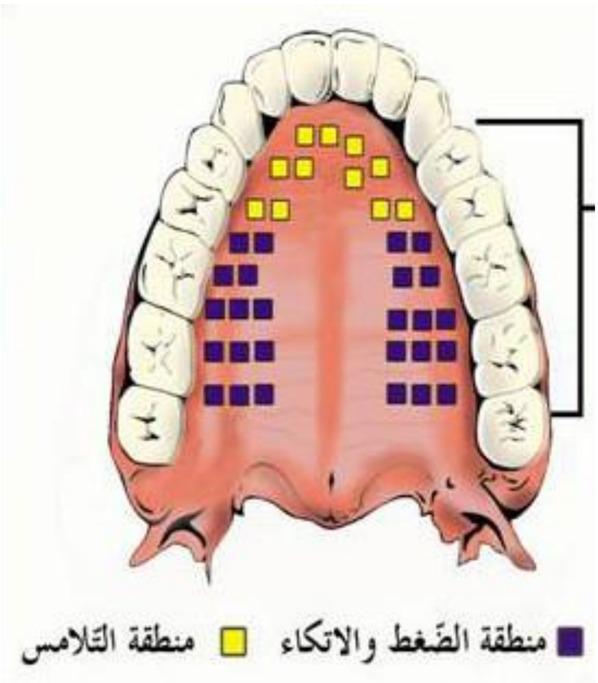
(3) (الشدق) جَانب الْفَم مِمَّا تَحت الخد [إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج1/ 476)].

(4) المبرد، المقتضب (ج193/1).

(5) ابن جني، سر صناعة الإعراب (ج52/1).

سيبويه يدل على أنها تكون من الجانبين، خلافًا لمن ذهب إلى أنها تختص بالجانب الأيمن، وخلافًا للخليل، في زعمه أنها شجرية من مخرج الجيم والشين "[1].

ونقل علماء التجويد ما قاله اللغويون القدماء في مخرج الضاد، ووافقوهم فيما ذهبوا إليه، قال مكي بن أبي طالب: "فلابد للقارئ المجود أن يلفظ بالضاد منخفضة مستعلية مستطيلة فيظهر صوت خروج الريح عند ضغط حافة اللسان بما يليه من الأضراس عند اللفظ بها"[2]، وكلام مكي السابق يشير إلى أن ضغط الحافة يكون على الأضراس، ومن هذا استنتج المتأخرون أن حافة اللسان تنطبق بشكل كامل على الأسنان العليا، ولكنّ الاعتماد والضغط والاتكاء يكون على منطقة الأضراس، وتبقى منطقة الضاحكين والنابين والرباعيين والثنايا العليا منطقة تلامس فقط، وهذا ما ذهب إليه الدكتور أيمن سويد[3]، وتوضح الصورة التالية مناطق الضغط والتلامس في الأضراس عند نطق الضاد.



شكل (1.2): منطقة الضغط والتلامس عند نطق الضاد

---

(1) أبو حيان، ارتشاف الضرب (ج1/ 9).

(2) مكي، الرعاية (ص 158–159).

(3) انظر: سويد، التجويد المصور (ج1/ ص 107–108).

ويقول ابن الجزري –رحمه الله –في منظومته التجويدية المقدمة الجزرية: [1]

أَسْفَلُ وَالْوَسْطُ فَجِيمُ الشِّينُ يَـــا *** **وَالضَّادُ مِنْ حَافَتِهِ إِذْ وَلِـيَا**

الأَضْرَاسَ مِنْ أَيْسَرَ أَوْ يُــمنـاهَا *** وَالــــلاَّمُ أَدْنَاهَا لِمُنْتَهَاهَا

وقال أحمد بن محمد بن الجزري وهو ابن ناظم المقدمة معقبًا على هذه الأبيات وشارحًا لها: "إن مخرجها من حافتي اللسان، وما يليه من الأضراس، ومن اليسرى صعب وأكثر استعمالًا، ومن اليمنى أصعب وأقل"[2]

وكما هو واضح، لم تخرج أقوال التابعين من اللغويين والمجودين عن قول سيبويه وما أضافه المبرد من أن الضاد تخرج من الجانبين الأيمن والأيسر إلا بتغيير بعض الألفاظ تقديمًا وتأخيرًا، وخالف الجاحظ في كتابه البيان والتبيين ذلك، فقال: " فأما الضاد فليس تخرج إلا من الشدق الأيمن إلا أن يكون المتكلم أعسر يسرًا مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يخرج الضاد من أي شدقيه شاء...". [3]

أما في كون الضاد تخرج من مخرج الجيم والشين، كما هو ظاهر كلام الخليل، فهذا كلامٌ فيه نظر، وذلك لاختلاف المخرجين فالجيم والشين من وسط اللسان مع الحنك الأعلى، أما الضاد فهي من بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس العليا كما مر معنا.

ومما يحسن ذكره هنا أن نذكر قول عبد اللطيف الخطيب في أن ما نسب إلى الخليل من أن الضاد من شجر الفم هو مخرجها، وأن ما قاله سيبويه هو صفة المخرج ولكن الخالفين غلبوا صفة المخرج على المخرج نفسه، ويستدل على قوله بالرسم الذي رسمه السكاكي في مفتاح العلوم حيث تظهر الضاد إلى الجانب الأيمن من الأحرف الشجرية [4]، وكلام الخطيب السابق نستطيع نقده

(1) ابن الجزري: محمد، المقدمة الجزرية (ص9).

(2) ابن الجزري: أحمد، الحواشي المفهمة (ص10).

(3) الجاحظ، البيان والتبيين (ج33/1).

(4) انظر: الخطيب، الضاد العربية في ضوء القراءات القرآنية (ص9–10).

وتفنيده ببساطة من خلال الرجوع إلى عبارة سيبويه السابقة حيث إن سيبويه ذكر مخرج الضاد وليس صفة مخرج الضاد، فلم نُقوِّلُ سيبويه ما لم يقل؟

ولكن لا يمكن أن نتغافل أقوال كثيرٍ من العلماء الذين صنفوا الضاد كحرفٍ شجريّ مع الجيم والشين والياء؛ لاعتباراتٍ صوتية، مما لا يعني إطلاقًا اتحاد هذه الحروف في المخرج، وسيتحدث الباحث في المطلب التالي عن شجرية صوت الضاد بالتفصيل.

ومما تقدم من أقوال العلماء القدامى يتضح لنا أن مخرج صوت الضاد العربية جانبي من إحدى حافتي اللسان أو كليهما مع ما يليها من الأضراس العليا.

المطلب الثالث

شجرية مخرج الضاد

يعد صوت الضاد من الحروف الشجرية كما قرر ذلك علماء اللغة المتقدمون، ونحاول فيما يأتي توضيح المقصود بالحروف الشجرية مع ذكر آراء العلماء حول هذه المسألة.

فقد جاء في القاموس المحيط "والشَّجْرُ: الأمرُ المُخْتَلِفُ، وما بين الكَرَّينِ من الرَّحْلِ، والذَّقَنُ، ومَخْرَجُ الفَم، أو مُؤَخَّرُهُ، أو الصامِغُ [1]، أو ما انْفَتَحَ من مُنْطَبِقِ الفَمِ، أو مُلْتَقَى اللِّهْزِمَتَيْنِ [2] أو ما بين اللَّحْيَيْن، والشَّجْرَة: النُّقْطَةُ الصغيرةُ في ذَقَنِ الغُلام. والحُرُوفُ الشَّجْرِيَّةُ: ش ض ج"[3].

وجاء في لسان العرب "والجيم والشين والضاد ثلاثة في حيز واحد، وهي من الحروف الشَّجْرية، والشَّجْرُ مَفْرَجُ الفم، ومخرج الجيم والقاف والكاف بين عَكَدَةِ اللسان [4]، وبين اللَّهاةِ في أَقصى الفَم." [5].

وقد عدّ الخليل بن أحمد الفراهيدي الضاد من الحروف الشجرية، والحروف الشجرية عنده هي الجيم والشين والضاد [6]، حيث تحتل هذه الحروف حيزًا واحدًا.

وقد رتب نشوان بن سعيد الحميرى اليمني الحروف في أبيات وفق ما ذكره الخليل بن أحمد في كتاب (العَيْن) فقال جامعًا الجيم والشين والضاد مع بعضها:

والجيم والشين ثم الضاد معجمة * والصاد والسين ثم الزاي والطاء** [7]

---

(1) الصامغ: هو مُجْتَمَع الرِّيق الَّذِي يَمْسَحُه الرجل إذا تكلم، أو هو مؤخرة الفم (ابن سيده، المخصص، (ج1/ 123)).

(2) اللِّهْزِمَةُ بِكَسْرِ اللَّامِ وَالزَّايِ عَظْمٌ نَاتِئٌ فِي اللَّحْيِ تَحْتَ الْأُذُنِ وَهُمَا لِهْزِمَتَانِ وَالْجَمْعُ لَهَازِمٌ (الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (ج2/ 559)).

(3) الفيروز أبادي، القاموس المحيط (ص414).

(4) العكدة: أصل اللسان والذنب (معجم الوسيط، باب العين (ج2/ 618)).

(5) ابن منظور، لسان العرب (ج206/2).

(6) انظر: الفراهيدي، العين (ج58/1).

(7) الحميرى، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (ج1/ 86).

وقال الإمام مكي القيسي: "الحروف الشجرية: وهي ثلاثة أحرف: الشين والضاد والجيم، سمَّاهُنَّ الخليل بذلك؛ لأنه نسبهن إلى الموضع الذي يخرجن منه، وهو مفرج الفم، قال الخليل: مفرج الفم أي منفتحه، وقال غيره: الشجر مجمع اللحيين عند العنفقة [1]" [2] ونقل هذا الكلام بالنص ابنُ الجزري في التمهيد [3].

والمتفق عليه عند علماء اللغة والتجويد هو قرب المخارج بين هذه الحروف، حيث يُصنَّفُ مخرج الضاد تاليًا لمخرج وسط اللسان الذي تخرج منه الجيم والشين والياء غير المدية، ولقرب مخرج الضاد من مخرج الشين نجد أن أحد رواة الإمام أبي عمرو البصري، وهو السوسي أدغم الضاد في الشين في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ ﴾ [4]، فيقرؤها بالصورة التالية: (لبعْشَّأنهم)، قال الشاطبيّ:

وضاد لبعض شأنهم مدغما تلا [5].

إذن مما سبق يتضح لنا أن كثيرًا من العلماء المتقدمين أثبت أن الضاد تلقب بالشجرية مع الجيم والشين، وقد عدّ بعض العلماء الياء غير المدية من الأحرف الشجرية [6]، ويترتب على ذلك أن الأحرف التي تلقب بالشجرية أربعة "الضاد والجيم والشين والياء غير المدية" ولا يوجد حرف خامس زائد على هذه الأربعة يلقب بالشجري.

(1) العَنْفَقُ: خِفَّةُ الشَّيْءِ، ومنه: العَنْفَقَةُ: الِشُعَيْرات بَيْنَ الشَّفَةِ السُّفْلَى والذَّقَنِ. والعَنْفَقةُ: ما بين الشفة السفلى والذَّقَن منه لخفة شعرها، وقيل: العَنْفَقة ما بين الذَّقَن وطرف الشفة السفلى، كان عليها شعر أَو لم يكن، وقيل: العَنْفَقَةُ ما نبت على الشَّفة السُّفلى من الشَّعر؛ قال الأَزهري: هي شعرات من مقدّمة الشَّفة السُّفلى ورجل بادي العَنْفَقَةِ إذا عري موضعُها من الشعر. وفي الحديث:(أَنَّه كان في عَنْفَقَتِه شعراتٌ بِيض)، (ابن منظور، لسان العرب (ج277/10)).

(2) مكي، الرعاية (ص49).

(3) ابن الجزري: محمد، التمهيد (ص48).

(4) [النور:62].

(5) الشاطبي، متن الشاطبية (ص12).

(6) انظر: الزَّبيدي، تاج العروس (ج553/40).

المطلب الرابع

صوت الضاد الضعيفة عند سيبويه

ذكر سيبويه في كتابه أن هناك ضادًا تُسمَّى بالضاد الضعيفة، وعدّها ضمن ثمانية من الحروف قليلة التداول في لغة الفصحاء، ولا تستساغ في قراءة القرآن، ولا في الشعر، يقول سيبويه عن هذه الحروف، ومن ضمنها الضاد الضعيفة: "غيرُ مستحسنةٍ، ولا كثيرةٍ في لغة من تُرتضى عربيته، ولا تُستحسن في قراءة القرآن، ولا في الشعر؛ وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالفاء"(1).

ومع تتبع كتاب سيبويه نجد أنه لم يصف هذه الحروف ولم يتطرق لها بحجة أنها "لا تتبيَّن إلاَّ بالمُشافهة" (2)، لكنه لم يدخر جهدًا في وصف الضاد الضعيفة المعتمدة أصلًا على النطق والمشافهة، ربما لِأنَّ تلك (الضَّادَ الضعيفة) مظهرٌ من مظاهر عدم تمكُّن بعض العرب القُدَماء من نُطق الضَّاد كما ذكر رمضان عبد التواب (3).

وقد جاء وصف سيبويه للضاد الضعيفة في سياق كلامه عن تعداد الحروف العربية، وعدّها تسعة وعشرين حرفًا، وبين ذلك سيبويه بقوله في كتابه "وهذه الحروف التي تممتها اثنين وأربعين جيدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون، لا تتبين إلا بالمشافهة، إلا أن الضاد الضعيفة تتكلف من الجانب الأيمن، وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر، وهو أخف؛ لأنها من حافة اللسان مطبقة؛ لأنك جمعت في الضاد تكلف الإطباق مع إزالته عن موضعه، وإنما جاز هذا فيها لأنك تحولها من اليسار إلى الموضع الذي في اليمين، وهي أخف لأنها من حافة اللسان، وأنها تخالط مخرج غيرها بعد خروجها فتستطيل، حيث تخلط حروف اللسان، فسهل تحويلها إلى الأيسر؛ لأنها تصير في حافة اللسان الأيسر إلى مثل ما كانت في الأيمن، ثم تنسل من الأيسر حتى تتصل بحروف اللسان كما كانت كذلك في الأيمن" (4).

---

(1) سيبويه، الكتاب (ج432/4).

(2) المرجع السابق، (ج432/4).

(3) انظر: عبد التواب، مشكلة الضاد العربية (ص7).

(4) سيبويه، الكتاب (ج432/4).

وسيبويه في حديثه السابق عن مصطلح (الضاد الضعيفة) يكون قد دقّ ناقوس الخطر للتحذير من بدء الانحرافات الصوتية لحرف الضاد، فما الضاد الضعيفة إلا انحرافٌ صوتيٌ عن الضاد الفصيحة، ولكنّ وصف سيبويه هذا للضاد الضعيفة كان أقرب للغموض، وليس أدل على ذلك من تخبط واختلاف الدارسين من بعده، ويحاول الباحث كبير بن عيسى فك اللغز عن هذه الضاد ووضع تصور لها، كالآتي (1):

1- أنها ضادٌ مُتكلَّفَةٌ؛ يُتَكَلَّف إخراجها من الجانب الأيمن وكذلك إخراجها من الجانب الأيسر، كما يتكلف فيها الإطباق؛ لتُحافظ الضاد على نطقها وكيانها، وتُتَكَلَّف إزالة الإطباق عن موضعه، حتى يقترب نطقها من الضاد الأصليَّة. وعن هذا التَّكلُّف يقول مكي درار: "ولم يَقُل بهذا في غيرها، فكُلُّ الأصوات تحدُثُ بعَفوِيَّة ويُسرٍ، ولا يكون التكلُّف إلاَّ في غير المألوف المُعتَاد" (2)؛ حيث إن هذه الضاد جرت على ألسنة الذين لم يعتادوا النُّطق بالضَّاد الأصلية، من الأعاجم وبعض العرب.

2-أنَّ تَكلُّف إخراجها من الجانب الأيسر أخف؛ وذلك لأن نقلها من الجانب الأيمن إلى الأيسر ينقل تكلف وصعوبة الإطباق عن موضعه إلى موضع أخف، وعلل ذلك عبد الوهاب القرطبي بقوله: " وإنما قال: وهي أخف لأن الجانب الأيمن قد اعتاد الضاد الصحيحة، وإخراج الضعيفة من موضع قد اعتاد الصحيحة أصعب من إخراجها من موضعٍ لم يعتد الصحيحة" (3).

3-أنَّه باحتكاك هواء الزَّفير بحافة اللسان اليمنى، والأضراس المقابلة لهذا الجانب يتولَّدُ صوتٌ يستطيلُ ليُخالِط مَخْرَج غيره من حروف اللسان، فيسهُل تحويله إلى الحافة اليسرى، ثم يَنْسَلُّ منها ليتَّصِل بحروف اللسان كما كان في الحافة اليمنى.

وبعد سيبويه أصبح مصطلحُ (الضاد الضعيفة) يُطلقُ على كل انحراف وتغيُّر على صوت الضاد الأصلية، وقد اختلفت تفسيرات العلماء اللاحقين لسيبويه لصوت الضاد الضعيفة، فذهبوا في تفسيرها مذاهب شتى، وكثرت تأويلاتهم حسب ما شاع في عصورهم من انحرافات لنطق الضاد، ومن خلال دراسة أقوال العلماء تاريخياً، نجد من يرى أن الضاد الضعيفة هي الضاد التي ضعف إطباقها، وهو ما ذهب إليه أبو على الفارسي(ت 377هـ) كما يستفاد ذلك مما نقله عنه أبو حيان

---

(1) بتصرف: ابن عيسى، ألفونات صوت الضاد (غير مرقم).

(2) انظر: درار، الضاد العربية إلى أين؟ (ص91).

(3) القرطبي: عبد الوهاب، الموضح في التجويد (ص 84).

النحوي الأندلسي(ت 745هـ)، حيث قال "تستقبح وهي كاف كجيم فرع عن الكاف الخالصة... وضاد ضعيفة قال الفارسي: إذا قلت: ضرب ولم تشبع مخرجها ولا اعتمدت عليه ولكن تخفف وتختلس فيضعف إطباقها"[(1)]، ويرى الإمام أبو الحسن الرماني(ت 384 هـ) أن الضاد الضعيفة مستقبحةٌ، وفاقدةٌ للقوة، وزعم أن ذلك لحن من لحون التلفظ بصوت الضاد وهو اللثغة في العجز عن إخراج الحرف على حقه، أي تحويل اللسان إلى مخرج حرف آخر عند النطق بالصوت، يقول الرماني في شرحه لكتاب سيبويه: "فأما الأحرف المستقبحة فإنها تجري مجرى اللثغة في العجز عن إخراج الحرف على حقه وهي الكاف كالجيم والجيم كالكاف وهذا ضعيف جدًا لتباعد ما بين الحرفين وهو دليل على العجز عن إخلاص الحرف حقه... والضاد الضعيفة للعجز عن إخراجها قوية على حقها... فهذه سبعة أحرف غير مستحسنة لما بينا من أنها تجري مجرى اللثغة إلا أنها لما كانت في جماعة كثيرة من العرب بينها ليعرف المذهب فيها ويفصلها من الحروف المستحسنة ويبين أنها لا تجوز في القراءة"[(2)]، ولعل رأي الرماني هذا الذي يرى في نطق صوت الضاد ضعيفة شكلًا من أشكال اللثغة عند جماعة كثيرة من العرب مناقضٌ لرأيٍ معاصرٍ له لأبي سعيد السيرافي (ت 368 هـ)، حيث ينسب ذلك النطق إلى قوم ليس في لغتهم ضاد، وهذا يعني أنهم من غير العرب أي من العجم، ويحددها بالضاد الشبيهة بالظاء، يقول أبو سعيد السيرافي "الضاد الضعيفة: إنها لغة قوم ليس في لغتهم ضاد فإذا احتاجوا إلى التكلم بها في العربية اعتضلت عليهم، فربما أخرجوها ظاء لإخراجهم إياها من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا، وربما تكلفوا إخراجها من مخرج الضاد فلم يتأت لهم فخرجت بين الضاد والظاء" [(3)]، وقد أشار ابن عصفور (ت 669هـ) إلى مثل قول السيرافي السابق حيث قال في الممتع: "وكان ذلك في لغة قوم ليس في أصل حروفهم الضاد" [(4)]، إلا أنه عاد بعد ذلك عند القول عن الحروف المسترذلة – ومنها الضاد الضعيفة – إلى الإيماء بأن هذا النطق للعرب أيضًا كما هو للعجم نتيجة اختلاط العرب بالعجم حيث قال:" وكان الذين تكلموا بهذه الحروف المسترذلة خالطوا العجم فأخذوا من لغتهم"[(5)].

---

(1) أبو حيان، ارتشاف الضرب (ج1/ 13).

(2) الرماني، شرح كتاب سيبويه.

(3) الرضي الإستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب (ج256/3).

(4) ابن عصفور، الممتع (ص423).

(5) المرجع السابق، (ص423).

ويحاول الدكتور أحمد عبد المجيد هريدي الجمع والتوفيق بين كلام السيرافي من جهة والرماني من جهة أخرى بقوله: "وللتوفيق بين ما ذهب إليه الرماني وما ذهب إليه السيرافي، فإننا يمكننا القول بأن هذا النطق للضاد الضعيفة وغيره من الحروف المسترذلة كان لغة عند بعض العرب نتجت عن لكنة أعجمية لمن نشأ من العرب مع العجم..." [1].

ويوافق ابن يعيش (643هـ) السيرافي، ويكاد ينقل كلامه نقلًا حرفيًا مع بعض التغيير من حيث إن الضاد الضعيفة هي التي تختلط بالظاء، نفهم ذلك من قوله في كتابه شرح المفصل "والضاد الضعيفة من لغةِ قوم اعتاصت عليهم، فرُبما أخرجوها ظاء، وذلك أنّهم يُخْرِجونها من طرف اللسان وأطرافِ الثنايا، وربّما راموا إخراجَها من مخرجها، فلم يَتَأَتَّ لهم، فخرجت بين الضاد والظاء"[2].

ويرى كثيرٌ من الباحثين أنَّ الضاد الضعيفة مُبدلَةٌ من الثاء؛ ومن هؤلاء العلماء مَبرَمان (ت 345 هـ) وابن عصفور (ت 669 هـ)، واستدلوا على ذلك بتحويل (اثرِد له) إلى (اضرِد له) [3]، يُقرِّبون الثاء من الضاد، ويتبنى تمام حسان هذا القول ناسبًا ما يحدث لنظرية التأثير والتأثر؛ فيقول: "ومن هنا نجد بعض العرب حين ينطقون كلمة تشتمل على صوت الثاء مَتلُوًّا بحرف مفخم مجهور، يحدُث في نطق الثاء شيء من عدوى التفخيم والجهر الضعيفة، فتصير الثاء بذلك ضادًا ضعيفة"[4]. ويَعترِضُ أبو حيَّان النَّحوي على هؤلاء بقوله: "في تفسير الضاد الضعيفة بهذا، وفي تمثيله نظرٌ! والذي يظهر أن الضاد الضعيفة هي التي تقترب من الثاء –عكس ما قال مَبرَمان وابن عُصفور –. فتقول في (اضرِب زيدا): (اثرب زيدا)؛ بين الضاد والثاء"[5]، ولعل ما يُرجح كلام أبي حيان النحوي على كلام مبرمان وابن عصفور السببان التاليان:

1- لأنَّ العرب بطبيعتهم يميلون إلى الأيسر والأسهل، ولا يختلف اثنان على أن الثاء أسهل وأيسر نطقًا من الضاد؛ لذلك ينتقل العرب من الضاد إلى الثاء، وليس العكس.

---

(1) هريدي، صوت الضاد وتغيراته (ج1/ 38).

(2) ابن يعيش، شرح المفصل (5ج/ 521).

(3) انظر: ابن عصفور، الممتع (ص423).

(4) حسان، اللغة العربية معناها ومبناها (ص555).

(5) أبو حيان، ارتشاف الضرب (ج1/ 166).

2- أبو حيان ذكر أن الضاد تنتقل إلى صوت بين الضاد والثاء، وكأنه قصد بذلك صوت شبيه بالظاء، وهذا كلام وجيه يدعمه الواقع كما نرى من تحول الضاد إلى ظاء عند العراقيين مثلًا.

والآن، وبعد أن تعددت الأقوال حول الضاد الضعيفة، يجمل لنا غانم قدُّوري الحَمد هذه الآراء بقوله: "ويبدو أن مصطلح (الضاد الضعيفة) لم يَعُد يُطلق على صوت مُحدَّد؛ فإذا كان سيبويه قد أطلقه على صوت مُحدَّد فإننا نجد العلماء بعده يستخدمونه للإشارة إلى أكثر من صوت، وذلك حسب ما تؤول إليه الضاد، سواء كان ذلك الصوت ظاءً، أو بين الضاد والظاء، أو بين الضَّاد والثَّاء" [(1)].

وخلاصة القول في موضوع الضاد الضعيفة أن مخرج الضاد العربية القديمة التي وصفها سيبويه من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس رخوة مجهورة مطبقة مستطيلة لم يعد ينطق بها في عصرنا إلا بعض القراء المتقنين، كالشيخ محمود خليل الحصري وغيره من القراء المجيدين المسندين، وأنّ صوتها تغير عند كثير من الناطقين بالعربية إلى عدة أشكال وأصوات مختلفة، كل شكل يُستخدم في جهة من جهات البلدان التي تتكلم العربية، وإنّ أشهر تلك الأشكال نطق الضاد ظاء كما في العراق ومناطق الخليج العربي ونطقها دالًا مفخمة كما في مصر، وقد كان علماء اللغة وعلماء التجويد مدركين بشكل عام منذ أمد بعيد لهذا التغيير؛ ولهذا نبهوا وقعَّدوا بدقة للضاد الفصيحة وبينوا صفات الضعيفة كلٌّ حسب عصره.

---

(1) الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (ص239).

المطلب الخامس

مخرج الضاد عند المحدثين

حاول المحدثون من علماء اللغة والأصوات التفريق بين النطق القديم لصوت الضاد والنطق الحديث والمشتهر بين الناس لهذا الصوت، على اعتبار أنّ هذا الصوت قد تغير، وبالتالي اختلف مخرجه عما وصفه لنا سيبويه ومن جاء بعده من علماء اللغة القدماء؛ وذلك بفعل اختلاط العرب بالعجم؛ فظهرت أشكالٌ جديدة للنُّطق بصوت الضاد الأصلي، "فمنهم من يُخرِجُه ظاء، ومنهم من يمزجه بالذال، ومنهم من يجعله لامًا مفخمًا، ومنهم من يشمّه الزاي"[(1)]، ومنهم من ينطقه دالًا مفخمة كما يلفظه المصريون.

فالضَّاد نُطِقَت شَبيهَةً بخمسة أصوات –على الأقل –، هي: الظاء والذال واللام والزاي والدال. وذلك لأن مخارج هذه الأصوات الخمسة قريبة من مخرج الضاد الأصليَّة، ولأنها تشارك الضاد في صفة الجهر أيضا، لذلك يسهل انتقال الناطق بالضاد إلى أحد هذه الأحرف، لربما من باب التسهيل والتخفيف.

وأمثلة ذلك في لغتنا ولهجاتنا كثيرة، فمن أمثلة إبدال الضاد بالظاء:" التقريض والتقريظ، وعَضَّته الحرب وعَظَّته، وفاضت روحه وفاظت [(2)]، "ومن أمثلة الضاد والذال: ما ينبض له عرق نبضًا، وما ينبذ له عرق نبذًا ... ومن أمثلة الضاد واللام: تفيض فلان أباه وتقيله: تفيضًا وتقيلًا: إذا نزع إليه في الشبه، ومن أمثلة الضاد والزاي: أنا على أوفاز، وعلى أوفاض أى: على عجلة"[(3)].

وبناءً على هذه التغيرات في حرف الضاد اجتهد علماؤنا في وصف ما آل إليه هذا الصوت العجيب، ولنضرب المثل في جمهورية مصر العربية، حيث نشأ علم الأصوات العربي وترعرع على يد ثلة من العلماء كإبراهيم أنيس ورمضان عبد التواب، فعالم الأصوات المصري إبراهيم أنيس –أحد أبرز العلماء المحدثين الذين نهضوا بعلم الأصوات في الوطن العربي –يرى بأن مخرج الضاد الحديثة من طرف اللسان –وليس حافته–مع أصول الثنايا، يقول الدكتور إبراهيم أنيس:" فالضاد الحديثة صوت شديد مجهور يتحرك معه الوتران الصوتيان، ثم ينحبس الهواء عند التقاء طرف اللسان بأصول

---

(1) ابن الجزري: محمد، النشر (ج219/1).

(2) أنيس، الأصوات اللغوية (ص51).

(3) عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة (ص70).

الثنايا العليا. فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سمعنا صوتًا انفجاريًا هو الضاد كما ننطق بها في مصر "[1].

ويحاول إبراهيم أنيس أن يربط بين النطق القديم والنطق الحديث للضاد، فيقول في شرح الضاد العربية القديمة: "والضاد القديمة كما أتخيلها يمكن النطق بها بأن يبدأ المرء بالضاد الحديثة ثم ينهي نطقه بالظاء، فهي إذن مرحلة وسطى فيها شيء من شدة الضاد الحديثة، وشيء من رخاوة الظاء العربية؛ ولذلك يعدها القدماء من الأصوات الرخوة"[2]. وكما هو واضح فإن إبراهيم أنيس قد أهمل صفة الجانبية للضاد القديمة.

ويوافق الدكتور رمضان عبد التواب ما ذهب إليه إبراهيم أنيس بأن الضاد الحديثة تخرج من طرف اللسان بحيث تكون دالًا مفخمة، يقول رمضان عبد التواب في سياق حديثه عن مخارج الأصوات: " وأمّا الضاد: فإنها حسب نطقنا لها الآن، تعد المقابل المفخم للدال، أي أنها صوت شديد مجهور مفخم، ينطق بنفس الطريقة، التي تنطق بها الدال، مع فارق واحد، هو ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الطبق في النطق بصوت الضاد، وعلى هذا فالضاد العربية هي المقابل المطبق للدال"[3].

وبناءً على هذا الوصف الذي وصفه كلٌ من إبراهيم أنيس ورمضان عبد التواب لصوت الضاد، فإنها تتحد مع الطاء والدال في المخرج وفي أغلب الصفات، بالتالي تعتبر الضاد المصرية الحديثة النظير المجهور للطاء، وكذلك النظير المفخم للدال، كما بين ذلك الدكتور كمال محمد بشر، حيث يقول: "هي النظير المجهور للطاء، فلا فرق بينهما إلا أن الطاء صوت مهموس والضاد صوت مجهور، كما أنه لا فرق بين الدال والضاد إلا أن الضاد مطبق (مفخم) والدال لا إطباق فيه"[4].

فالضاد عندهم انتقل مخرجها من حافتي اللسان إلى طرفه، ويذكر الدكتور كمال بشر أسباب اضمحلال صوت الضاد التي وصفها سيبويه وعلماء التجويد، وخلط هذا الصوت بأصوات مجاورة له، كما يأتي:

---

(1) أنيس، الأصوات اللغوية (ص48).

(2) أنيس، الأصوات اللغوية (ص49).

(**3**) عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة (ص46).

(4) بشر، علم اللغة العام. الأصوات (ص253).

أولًا: "وأهمها في نظرنا، أننا لم نسمع هذا الصوت منطوقًا من كل أولئك الذين وصفوه بطريقتهم، بدءًا من سيبويه وتابعيه. ومن المقرر أن أصوات اللغة بالذات لا يمكن تعرفها تعرفًا دقيقًا أو الوقوف على خواصها إلا بالسماع لمنطوق واقع بالفعل وأنى لنا ذلك، فمعيار الحكم الصحيح غائب (وهو النطق الفعلي)، وفي غيابه مظنة الخطأ أو الخلط في التطبيق ..."[1].

ثانيًا: "إن ترجمة الوصف الذي قدمه السابقون ترجمة نطقية وأداء فعلي فيه قدر كبير من الصعوبة إذ هو وصف متأرجح ينحو بخواص الصوت نحو سمات أصوات أخرى، وبخاصة الظاء واللام ، فالضاد في وصفهم صوت رخو (احتكاكي) فاقترب من الظاء ، وهو جانبي فاختلط باللام ... " [2].

ويرى الدكتور غانم قدوري الحمد –عالم الأصوات العراقي –بأنه: "لم يعد تحديد سيبويه مخرج الضاد بأول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مطابقًا لنطق الضاد في زماننا، مما يستدعي وضع الضاد في مخرج واحد مع الطاء والتاء والدال" [3].

إذن، أصبح من الواضح أن علماء اللغة العربية المحدثين يصفون صوت الضاد عند الناطقين به في هذا العصر والذي أصابه الخلط إما بالدال أو الظاء أو الطاء أو غير ذلك حسب طبيعة البلد وبيئته اللهجية المنتشرة فيه، ففي مصر أُبدلت الضاد بدال مفخمة فوصف العلماء مخرج الدال المفخمة على أنها البديل الصوتي للضاد القديمة، وفي العراق والخليج العربي مثلًا أُبدلت الضاد بالظاء فوصف لنا علماء العراق والخليج ومن تأثر بهم مخرج الظاء على أنه ضاد.

أمّا في فلسطين فتنوعت تبدلات الضاد حسب التنوعات القبلية والعرقية واللهجية المنتشرة في بيئات فلسطين المختلفة، فنجد أن البعض يبدل الضاد ظاء كبدو فلسطين، ومنهم من يبدلها دال مفخمة كسكان المدن، ومنهم من يبدلها طاء كبعض سكان القرى.

وقبل أن ننهي حديثنا عن آراء المحدثين في صوت الضاد لا بد لنا أن نقف على رأي المستشرق الألماني براجستراسر الذي كان له إسهاب وآراء في صوت الضاد والتغير الذي أصابه،

(1) بشر، علم اللغة العام . الأصوات (ص260).

(2) المرجع السابق، (ص260).

(3) الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية (ص93).

فقد عرض في محاضراته التي ألقاها في الجامعة المصرية سنة 1929م بعض التغيرات والتبدلات التي حدثت لصوت الضاد مع مرور الزمن، فقال: "وأمّا رابعها وهي الضاد ، فهي الآن شديدة عند أكثر البدو ومع ذلك فليس لفظها البدوي الحاضر نفس لفظها العتيق ؛ لأن مخرج الضاد في جدول المخارج من حافة اللسان ، ومن القدماء من يقول من جانبه الأيسر ومنهم من يقول من الأيمن ومنهم من يقول من كليهما، فمخرجها قريب من مخرج اللام الذي هو أيضًا من حافة اللسان وذلك يدل على أن الضاد كانت تشبه اللام من بعض الوجوه والفرق بينهما هو أن الضاد من الحروف المطبقة كالصاد وأنها من ذوات الدوي واللام غير مطبقة صوتية محضة ؛ فالضاد العتيقة حرف غريب جدًا، غير موجود حسبما أعرف في لغة من اللغات إلا العربية ولذلك كانوا يكنون عن العرب بالناطقين بالضاد ، ويغلب على ظني أن النطق العتيق للضاد نطق قريب منه جدا عند أهل حضر موت وهو كاللام المطبقة، ويظهر أن الأندلسيين كانوا ينطقون الضاد مثل ذلك ولذلك استبدلها الأسبان بالـ (LD) في الكلمات العربية المستعارة في لغتهم مثال ذلك كلمة القاضي صارت في الإسبانية (ALCALDE)، ومما يدل أيضًا على أن الضاد كانت في نطقها العتيق قريبة من اللام أن الزمخشري ذكر في كتاب المفصل أن بعض العرب كانت تقول: (الطجع) بدل (اضطجع)، ونشأ نطق الضاد عند البدو من نطقها العتيق بتغيير مخرجها من حافة اللسان إلى طرفه ونطقها عند أهل المدن نشأ من هذا النطق البدوي بإعماد طرف اللسان على الفك الأعلى بدل تقريبه منه فقط فصار الحرف بذلك في نطقه شديدًا بعد أن كان رخوًا "[1].

من خلال ما سبق يحاول براجستراسر أن يصف ما آل إليه صوت الضاد من تغيرات، وكذلك يحاول تفسير هذا التغير على هذا الصوت.

ومما سبق نخلص إلى أن الضاد انتقل مخرجها من حافة اللسان مع الأضراس العليا إلى طرف اللسان، أي أنه انتقل من صوت جانبي إلى صوت أسناني لثوي كما يصفه المحدثون.

---

(1) براجستراسر، التطور النحوي (ص19).

المبحث الثاني

صفات صوت الضاد

المطلب الأول: الصفة لغةً واصطلاحًا:

جاء في المعجم الوسيط: وصف المهْر والناقة وَنَحْوهمَا (يصف) وَصفًا ووصوفًا... وَالشَّيْء وَصفًا وَصفَة نَعته بِمَا فِيهِ والطبيب الدَّوَاء عينه باسمه ومقداره وَالخَبَر حَكَاهُ وَالثَّوْب الجِسْم أظهر حَاله وَبَين هَيئته، وَفِي حَدِيث عمر فِي الثَّوْب الرَّقِيق (إِلَّا يشف فَإِنَّهُ يصف) فَهُوَ واصف [1].

وجاء في تاج العروس "وجمعُ {الصِّفَة:} الصِّفاتُ ... والصِفَةُ: الحالَةُ التّي عَلَيْها الشَّيْءُ من حِلْيَتِه ونَعْتِه"[2]

إذن **الصفة لغة** هي الحالة والهيئة والكيفية التي يكون عليها صاحبها، بينما **الصفة اصطلاحًا:** هي كيفية يوصف بها صفات الحرف عند النطق به، من شدة واستعلاء ورخاوة وإصمات [3]. ويؤدي الإخلال بها إلى الإخلال ببنية الحرف؛ ومن هنا تبرز أهمية معرفة الصفات للحرف، ولمعرفة صفات الحروف ثلاث فوائد [4]:

الأولى: تمييز الحروف المشتركة في المخرج، قال الإمام ابن الجزري: كل حرف يشارك غيره في المخرج فإنه لا يمتاز عنه إلا بالصفات، وكل حرف يشارك غيره في الصفات فإنه لا يمتاز عنه إلا بالمخرج، ولولا ذلك لاتَّحَدَت أصوات الحروف في السمع فكانت كأصوات البهائم لا تدل على معنى، ولما تميزت ذواتها.

الثانية: معرفة القوي من الضعيف، ليعلم ما يجوز إدغامه وما لا يجوز إدغامه؛ فإن الحرف القويّ بصفاته لا يجوز إدغامه فيما هو أضعف منه؛ لئلا تذهب تلك المزيَّة.

الثالثة: تحسين لفظ الحروف المختلفة المخارج. ونحاول فيما يأتي بيان أقوال القدماء والمحدثين في صفات الضاد، والتعرف على الصفات المتفق عليها والمختلف فيها فيما بينهم، والله الموفق.

---

(1) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج2/ 1036).

(2) الزَّبيدي، تاج العروس (ج461/24).

(3) أبو الوفا، القول السديد في علم التجويد (ج1/ 160).

(4) بتصرف: الحصري، أحكام قراءة القرآن (ص78).

المطلب الثاني

صفة الإطباق

الإطباق: هو انطباق طائفة –أي جملة –من اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بالحرف وانحصار الصوت بينهما [1]

ولعل أول من تحدث عن هذه الصفة في الضاد هو سيبويه، فقد قال عنها: "لأنها من حافة اللسان مُطْبقة"[2] وقال في موضع آخر، نافيًا وجود نظيرٍ منفتحٍ للضاد: "ولولا الإطباق لصارت الطاء دالًا، والصاد سينًا، والظاء ذالًا، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شيءٌ من موضعها غيرها"[3].

وتحدث ابن الجزري –رحمه الله – عن هذه الصفة، وحدد حروفها، وبيّن سبب تسميتها، وأخيرًا انفرد بذكر مراتب الإطباق واضعًا الضاد في المرتبة المتوسطة، فقال: "الثامن: حروف الإطباق، وهي أربعة أحرف، الطاء والظاء والصاد والضاد، سميت بذلك لأن طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بها، مع استعلائها في الفم، وبعضها أقوى من بعض، فالطاء أقواها في الإطباق وأمكنها، لجهرها وشدتها. والظاء أضعفها في الإطباق، لرخاوتها وانحرافها إلى طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا. والصاد والضاد متوسطتان في الإطباق " [4].

ويصف فخر الدين قباوة –أحد العلماء المحدثين–الإطباق فيقول: "وأمَّا الإطباق فيرتفع معه مؤخر اللسان نحو مؤخر الحنك، وينطبق عليه حتى يحصر الصوت مع تقعر وتراجع إلى الوراء؛ ليكون حجرة رنين، فيخرج الصوت مفخمًا من منفذ آخر أيضًا" [5].

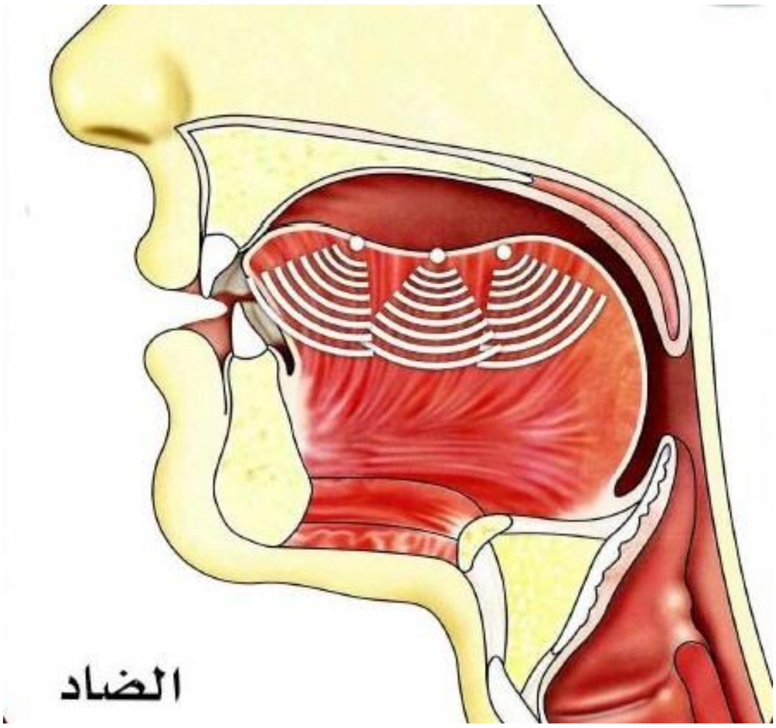
ويوافق أحمد مختار عمر هذه الآراء فيقول معرفًا الإطباق وذاكرًا أحرفه:"ارتفاع مؤخرة اللسان إلى أعلى قليلًا في اتجاه الطبق، وتحركه إلى الخلف قليلًا في اتجاه الحائط الخلفي للحلق، وتصحب هذه العملية في اللغة العربية نطق الصاد والضاد والطاء والظاء"[6].

---

(1) المرصفي، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري (ج82/1).
(2) سيبويه، الكتاب (ج432/4).
(3) المرجع السابق، (ج436/4).
(4) ابن الجزري: محمد، التمهيد (ص52).
(5) قباوة، الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد (ص49).
(6) عمر، إنتاج الصوت اللغوي (ص125).

ويثبت رمضان عبد التواب هذه الصفة عند حديثه عن صوت الضاد وعن الكيفية التي يحدث فيها، فيقول:" كما ترتفع اللهاة والجزء الخلفي من سقف الحلق (وهو المسمى بالطبق) ليسد التجويف الأنفي"(1).

إذن، يصاحب إطباق الضاد ارتفاعٌ لمؤخرة اللسان ومقدمته، وتقعر لوسطه، فتتشكل ما يشبه حجرة الرنين في الوسط كما يوضح الشكل التالي:



شكل (1.1): الإطباق في الضاد

ويذكر كمال بشر هذه الصفة للضاد عندما فرق بين الضاد المصرية الحديثة والدال فيقول:" كما أنه لا فرق بين الدال والضاد إلا أن الضاد مطبق"(2).

ويرى القدماء أنه لا يوجد نظير منفتح للضاد، وهذا واضحٌ من كلام سيبويه حينما قال:" ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شيءٌ من موضعها غيرها"(3)، بينما يرى المحدثون أن للضاد الحديثة نظير منفتح وهو صوت الدال، كما ذكر بِشر في قوله السابق، ويقول إبراهيم أنيس مؤكدًا

---

(1) عبد التواب، مشكلة الضاد العربية (ص2).

(2) بشر، علم الأصوات (ص116).

(3) سيبويه، الكتاب (ج4/436).

ذلك:" التجارب الحديثة تبرهن ... على أن الصوت المطبق الذي نظيره الدال هو الضاد كما تنطق بها الآن"[1].

وهكذا، فإنّ صفة الإطباق للضاد تكاد تنال على اتفاق العلماء بما فيهم القدماء والمحدثين من علماء اللغة والأصوات والتجويد، ولكنّ الخلاف وقع بين القدماء والمحدثين في وجود النظير المنفتح للضاد من عدمه كما مرَّ معنا، والصواب أن الضاد الموصوفة عند القدماء ليس لها نظير منفتح، إلا أنه مع تغير مخرج الضاد من جانبي إلى أسناني لثوي عند المحدثين أصبح لها نظير منفتح مشترك معها في المخرج.

(1) أنيس، الأصوات اللغوية (ص36).

المطلب الثالث

صفة الجهر

الجهر عند القدماء وعلماء التجويد هو "انحباس جريان النفس عند النطق بالحرف لقوّة الاعتماد على المخرج"[1]، وقد عرف الإمام ابن الجزري الحرف المجهور بأنه: "حرف قوي منع النفس أن يجري معه عند النطق به لقوته وقوة الاعتماد عليه في موضع خروجه". [2] فالقدماء في تعريفاتهم حصروا صفة الجهر في انحباس النفس عند النطق بالحرف، ولكن مع تطور علم الأصوات ووجود الأجهزة والمعدات الحديثة وتطور علم التشريح، تبين للعلماء المحدثين حدوث تذبذب واهتزاز للأوتار الصوتية أثناء النطق بالحرف المجهور، يقول البهنساوي واصفًا ما يحدث للأوتار الصوتية عند النطق بالحرف المجهور: "قد يقترب الوتران الصوتيان بعضهما من بعض في أثناء مرور الهواء وفي أثناء النطق، فيضيق الفراغ بينهما بمرور الهواء، ولكن مع إحداث اهتزازات وذبذبات منتظمة لهذه الأوتار، وفي هذه الحالة يحدث ما يسمى بالجهر "[3]

فأصبح الجهر يُعرف عند المحدثين بأنه تذبذب الوترين الصوتيين واهتزازهما عند النطق بالحرف المجهور.

ومع وجود الخلاف بين المحدثين والقدماء من علماء اللغة والتجويد في تعريف الجهر إلا أنهم اتفقوا جميعًا على إثبات هذه الصفة لصوت الضاد، فابن جني (ت 392هـ) –من القدماء – يتحدث مثبتًا صفة الجهر للضاد قائلًا: "الضاد حرف مجهور"[4].

ورغم التغير الصوتي الحاصل على صوت الضاد القديمة، إلا أنها حافظت على صفة الجهر، ويوضح لنا إبراهيم أنيس من المحدثين صفات صوت الضاد الحديثة مؤكدًا وجود الجهر فيها فيقول: "فالضاد الحديثة صوت شديد مجهور يتحرك معه الوتران الصوتيان"[5].

---

(1) محيسن، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر (ج93/1).

(2) ابن الجزري: محمد، التمهيد (ص87).

(3) البهنساوي، علم الأصوات (ص49).

(4) ابن جني، سر صناعة الإعراب (ج225/1).

(5) أنيس، الأصوات اللغوية (ص48).

وكما هو معلوم من خلال وصـــف القدماء للضـــاد، أنه ليس لها نظير مهموس؛ وذلك لانفرادها بمخرجٍ خاص، ولكن مع تغير مخرجها من حافة اللســـان إلى طرفه أصـــبح لها عند المحدثين نظيرٌ مهموس، وهو الطاء، يقول الدكتور كمال محمد بشـر واصـفًا الضـاد:" هي النظير المجهور للطاء، فلا فرق بينهما إلا ان الطاء صوت مهموس والضاد صوت مجهور"[1].

ونتوصل مما سبق إلى إثبات صفة الجهر لصوت الضاد عند جميع العلماء، مع وجود الخلاف بين القدماء والمحدثين في تعريف صفة الجهر، ووجود النظير المهموس للضاد.

---

(1) بشر، علم اللغة العام. الأصوات، (ص253).

المطلب الرابع

الضاد بين الشدة والرخاوة

الشدة والرخاوة عند اللغويين والمجودين القدماء صفتان متعلقتان بخروج الصوت، فقد يعوق الصوت عائق فينحبس في الفم، وحينئذ يكون الصوت شديدًا، وربما لا يعوقه شيء، ويخرج من الفم أو الأنف، وحينئذ يكون الصوت رخوًا.

وقد ذكر سيبويه علامة نطق الحرف الرخو في كتابه، بأنه يجري فيه الصوت إذا وُقف عليه ومثَّل لذلك بكلمتين أحدهما آخرها (س) مشددة وهي (الطسّ)، والأخرى آخرها (ض) مشددة وهي (انقضّ). [1]

ووضح ابن جني كذلك معنى الصوت الرخو، فقال: "والصوت الرخو هو الذي يجري فيه الصوت، ألا ترى أنك تقول: المسّ والرّشّ والشّحّ ونحو ذلك، فتمد الصوت جاريًا مع السين والشين والحاء"[2].

وقد عد اللغويون القدماء الضاد القديمة من الحروف الرخوة، وفي ذلك يقول سيبويه: "ومنها الرخوة وهي الهاء والحاء والغين والخاء والشين والصاد والضاد والزاي والسين والظاء والذال والفاء"[3].

وكذلك القراء والمجودون كابن الجزري ومكي بن أبي طالب، فقد صـــــرحوا في كتبهم بأن الضاد رخوة وليست شديدة بحال أبدًا، يقول ابن الجزري عن الضاد "وهي مجهورة رخوة "[4].

والآن، وبعد أن تعرفنا على رأي القدماء في صوت الضاد ورخاوته، سنتعرف على رأي اللغويين المحدثين الذين كان لهم رأي آخر سواء من حيث مفهوم الشدة والرخاوة، أومن حيث حروفهما، فلو بحثنا عن مفهوم هاتين الصفتين عند اللغويين المحدثين سنجد أن المعيار عندهم في التعريف هو خروج الهواء وانحباسه وليس الصوت، فالصوت الشديد عندهم "هو الصوت الذي ينحبس الهواء انحباسًا تامًا عند النطق به نتيجة التصاق العضوين اللذين يُكَوِّنَان مخرج الصوت التصاقًا لا يسمح

---

(1) انظر: سيبويه، الكتاب (ج435/4).

(2) ابن جني، سر صناعة الإعراب (ج61/1).

(3) سيبويه، الكتاب (ج432/4).

(4) ابن الجزري: محمد، التمهيد (ص130).

بمرور الهواء من الفم أو من التجويف الأنفي. ويُسمى عندهم بالصوت الانفجاري؛ لأن الهواء المحبوس خلف العضوين الملتصقين يضغط عليهما، فإذا انفرجا، خرج الهواء بقوة.

أمّا الصوت الرخو فهو الصوت الذي يخرج الهواء عند النطق به من الفم أو من التجويف الأنفي. ويسمي الصوت الرخو صوتًا احتكاكيًا؛ لأن الهواء يحتك ببعض أعضاء النطق في أثناء مروره إلى الخارج."[1].

هذا عن المفهوم، أمّا عن رخاوة الضاد فقد خالف اللغويون المحدثون سابقيهم، فوصفوا صوت الضاد بالشدة، وبالتالي فهو عندهم صوتٌ انفجاريٌ، يقول إبراهيم أنيس واصفًا شدة الضاد: "فالضاد الحديثة صوت شديد مجهور يتحرك معه الوتران الصوتيان، ثم ينحبس الهواء عند التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا. فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سمعنا صوتًا انفجاريًّا هو الضاد كما ننطق بها في مصر"[2]، ويصف رمضان عبد التواب ضاد اليوم فيقول: "هو عبارة عن صوت أسناني لثوي انفجاري (شديد) مجهور"[3].

ويبدو أنه مع تغير مخرج الضاد في كثير من اللهجات وخصوصًا اللهجة المصرية من جانبي إلى أسناني لثوى حدث تغير في صفة الرخاوة حيث أصبحت الضاد شديدة انفجارية كما يصفها المحدثون، وعن كيفية حدوث هذا التطور في صوت الضاد الأصلي؛ يقول برجشتراسر: "وأمّا رابعها وهي الضاد، فهي الآن شديدة عند أكثر البدو ومع ذلك فليس لفظها البدوي الحاضر نفس لفظها العتيق ... نشأ نطق الضاد عند البدو من نطقها العتيق، بتغيير مخرجها من حافة اللسان إلى طرفه. ونُطقها عند أهل المُدن نشأ من هذا النُّطق البدوي؛ بإعماد طرف اللسان على الفك الأعلى بَدلَ تقريبه منه فقط، فصار الحرف بذلك في نُطقه شديدًا، بعد أن كان رِخوًا"[4].

---

(1) بتصرف: عبد النبي، فصول في علم الأصوات (ص 45، 46).

(2) أنيس، الأصوات اللغوية (ص48).

(3) عبد التواب، مشكلة الضاد العربية (ص2).

(4) براجستراسر، التطور النحوي (ص19).

ومع اختلاف مخرج الضاد من حافّي إلى أسناني لثوي ومن حرف رخو إلى شديد أصبح لها نظير مهموس في علم الأصوات الحديث يقول الدكتور كمال محمد بشر: (هي النظير المجهور للطاء، فلا فرق بينهما إلا أن الطاء صوت مهموس والضاد صوت مجهور) (1).

ولعل هذا التقارب الصوتي الكبير بين صوت الضاد الحديثة الشديدة المجهورة ونظيرها صوت الطاء المهموسة، جعل من اليسير إبدال صوت الضاد بنظيرها المهموس في بعض الكلمات، مثل:

اضطجع ← اطّجع.

اضطرب ← اطّرب.

ويحاول إبراهيم أنيس الجمع بين الضادين القديمة والحديثة، وذلك أثناء قيامه بتفسير مخرج الضاد العربية القديمة، فيقول: "والضاد القديمة كما أتخيلها يمكن النطق بها بأن يبدأ المرء بالضاد الحديثة ثم ينهي نطقه بالظاء، فهي إذن مرحلة وسطى فيها شيء من شدة الضاد الحديثة، وشيء من رخاوة الظاء العربية؛ ولذلك يعدها القدماء من الأصوات الرخوة"(2). ويرى الباحث أن إبراهيم أنيس أهمل تمامًا صفة الجانبية للضاد القديمة التي ينطق بها عند البدو في مصر، فهي عندهم "صوت أسناني، جانبي، رخو"(3).

ويعتقد الباحث أن الضاد الحديثة الشديدة كانت موجودة عند القدماء ولكنها على قلةٍ وندرةٍ، وهذا يعني أنه يوجد للضاد الشديدة أصلٌ عند القدماء، ولكنها غلبت اليوم على الضاد الرخوة بعد أن كانت قليلة، فالضاد الشديدة قديمة تحدث عنها بعض العلماء أمثال ابن سينا (428 هـ)، حيث يقول عن بعض الحروف: "وأخرى "مُفردةٌ، وحدوثها عن حُبسات تامَّةٍ للصَّوت أو الهواء الفاعل للصَّوت يتبَعُها إطلاقٌ دفعةً"(4). ويعني بالأصوات المفردة: "الباء، والتاء، والجيم والدال والضَّاد أيضًا من وجه"(5). ومن المَعلوم أنَّ الأصوات الأربعة الأولى شديدةٌ، فإلحاق الضَّاد الرِّخوة بها، وتقييدُه لها بقوله: "من وجه" يعني: أنه يتحدَّث عن صوت آخر للضَّاد الأصليَّة يَتَّصِفُ بالشّدة.

---

(1) علم اللغة العام، الأصوات (ص253).

(2) أنيس، الأصوات اللغوية (ص49).

(3) وافي، علم اللغة (ص284).

(4) ابن سينا، أسباب حدوث الحروف (ص60).

(5) المرجع السابق، (ص61).

وفي وصفه لطريقة خروج تلك الأصوات المُفرَدة، يقول ابن سينا إنها: "تشترك في أنَّ وُجودها وحدوثها في الآن الفاصل بين زمان الحبس وزمان الإطلاق، وذلك لأنَّ زمانَ الحَبس التام لا يُمكِن أن يحدُث فيه صوت حادث عن الهواء وهو مُسَكَّنٌ بالحبس. وزمان الإطلاق ليس يُسمع فيه شيء من هذه الحروف، لأنها لا تمتد ألبتة إنما هي مع إزالة الحَبس فقط" (1). نلاحظ من كلام ابن سينا أن وصفه لآلية نطق هذه الأحرف يقترب كثيرًا من وصف المحدثين للشدة والرخاوة، فمصطلح الإطلاق عنده يرادف الانفجار الذي ذكره المحدثون لوصف خروج الحرف الشديد، عوضًا على أنه ذكر انحباس الهواء للتعبير عن شدة الحرف، ونفهم من قوله: "لأنها لا تمتد ألبتة" أنه ينفي الرَّخاوة عن هذه الأحرف.

ونخلص ختامًا إلى وجود خلاف كبير بين القدماء والمحدثين في رخاوة وشدة صوت الضاد وهذا الخلاف ناشئ عن تغير مخرج الضاد في اللهجات الحديثة عن مخرجه الجانبي الفصيح، وبالتالي نشوء ضاد حديثة –هي أشبه بالفونيم الجديد للضاد القرآنية القديمة –تتصف بالشدة والانفجارية.

---

(1) ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، (ص61).

المطلب الخامس

صفة الاستطالة

الاستطالة لغةً واصطلاحًا:

جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة استطال اللَّيلُ: امتدّ وطال، عكس قصُر "استطال الظِّلُّ/ الحديثُ"، استطال الحائطَ: رآه، عدَّه طويلًا "استطال البناءَ–استطال المسافةَ بين منزله ومقرّ عمله". [1] وبناءً على ما تقدم يمكن القول بأن **الاستطالة لغةً:** الطول والامتداد.

وأمّا **الاستطالة في اصطلاح اللغويين والقراء:** فقد تعددت تعاريف الاستطالة عند اللغويين والمجودين فبعضهم يرى أن الاستطالة "امتداد الصوت من أول حافة اللسان إلى آخرها"[2]، وبعضهم يرى أن الاستطالة هي: امتداد اللسان من مؤخرة الفم إلى مقدمته حتى يلامس أصول الثنايا [3].

ويظهر ممّا سبق وجود خلاف بين العلماء في تعريف الاستطالة ما بين امتداد للسان وامتدادٍ للصوت، ويجمع الباحث بين القولين، حيث إن الاستطالة هي امتداد اللسان ولكنها متلازمة وغير منفكة عن امتداد الصوت فامتداد اللسان ينتج عنه امتداد الصوت، ولكن امتداد الصوت يكون محدودًا بمدة امتداد اللسان وليس كحروف المد.

وقد فرق محمود العبد بين الاستطالة والمد فقال: "الفرق بين الاستطالة والمد –مع أن في كل منهما امتداد – أن الاستطالة امتدادُ الحرف في مخرجه المحقَّق[4]، مع انحصاره فيه، وأمّا المدّ فهو امتداد الصوت عند النطق بحروفه دون انحصار في المخرج، إذ ليس له مخرج محقَّق حتى ينحصر فيه، بل مخرجه مقدّر[5]، فلا ينقطع المد إلا بانقطاع الهواء."[6] ومعنى ذلك أن الحرف المستطيل يمتد الصوت به، ولكن لم يبلغ قدر الحرف الممدود، وذلك لأن المستطيل يجري في

---

(1) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج2/ 1426).

(2) المرصفي، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري (ج82/1).

(3) انظر: سويد، التجويد المصور (ج202/1).

(4) المخرج المحقق: هو المخرج المعتمد على جزء معين من أجزاء الفم. (الجرمي، معجم علوم القرآن (ص249)).

(5) المخرج المقدر: هو الهواء الذي في داخل الحلق والفم. والمخرج المقدر هو مخرج حروف المد الثلاثة. (المرجع السابق (ص249)).

(6) العبد، الروضة الندية شرح متن الجزرية (ص36).

مخرجه، بمعنى أن الحرف المستطيل يجري الصوت في مخرجه بقدر طوله ولا يتجاوزه، بينما الممدود ليس له مخرج محقق حتى يتقيد فيه؛ بل إن مخرجه مقدر.

وصفة الاستطالة هي صفة مميزة لحرف واحد وهو الضاد لا يشاركه فيها غيره من الحروف، قال أبو عمرو الداني (ت 444هـ):" والمستطيل حرفٌ واحد، وهو الضاد"[1]، ويرى الداني أن سبب الاستطالة في الضاد هو صفة الرخاوة فيها، فيقول معقبًا على ما سبق: "استطالت في الفم لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام" [2]، ولكن عند تتبع كلام العلماء نجد أنهم خالفوا الداني فيما ذهب إليه في تعليله السابق، ولم يوافقه في رأيه أحد، فهم يرون أن السبب الرئيسي في استطالة الضاد هو قوة الحرف لوجود صفات القوة فيه، ومن المعلوم أن الرخاوة صفة ضعف، يقول مكي (ت 501هـ) معرفًا ومعللًا صفة الاستطالة: "الحرف المستطيل وهو(الضاد) سميت بذلك؛ لأنها استطالت على الفم عند النطق بها، حتى اتصلت بمخرج اللام؛ وذلك لما اجتمع فيها من القوة بالجهر والإطباق والاستعلاء فقويت بذلك واستطالت في الخروج من مخرجها حتى اتصلت باللام لقرب مخرج اللام من مخرجها"[3].

ونقل أبو شامة المقدسي (ت 665 هـ) كلام مكي في كتابه إبراز المعاني عند شرحه لهذا البيت من الشاطبية:

وَمُنْحَرِفٌ لاَمٌ وَرَاءٌ وَكُرِّرَتْ * كَمَا الْمُسْتَطِيلُ الضَّادُ لَيْسَ بِأَغْفَلاَ**[4]

قال أبو شامة: "وسمى الضاد مستطيلًا؛ لأنه استطال حتى اتصل بمخرج اللام، قال مكي: والاستطالة تمدد عند بيان الضاد للجهر والإطباق والاستعلاء وتمكنها من أول حافة اللسان إلى منتهى طرفه فاستطالت بذلك فلحقت بمخرج اللام." [5].

---

(1) الداني، التحديد في الإتقان والتجويد (ص110).

(2) المرجع السابق، (ص110).

(3) مكي، الرعاية (ص46).

(4) الشاطبي، متن الشاطبية (ص93).

(5) أبو شامة، إبراز المعاني من حرز الأماني (ص754).

وذكر ابن الوجيه الواسطي (ت 741 هـ) في كتابه الكنز في القراءات العشر كلامًا شبيهًا من ذلك في تعريفه للاستطالة، فقال:(.... الاستطالة والمستطيل حرف واحد وهو الضاد سمى بذلك لأنه: استطال ما فيه من القوة بسبب الجهر والإطباق والاستعلاء فأدرك مخرج اللام) [1].

وإلى ذلك ذهب عالم التجويد ابن الجزري (ت 833 هـ) في كتابه التمهيد، فقال:"والحرف المستطيل وهو الضاد سميت بذلك لأنها استطالت عن الفم عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج اللام وذلك لما فيها من القوة، واستطالت في الخروج من مخرجها" [2]، وذكر ابن الجزري صفات القوة المسببة لاستطالة الضاد وذلك في كتابه النشر: "وذلك لما فيه من القوة بالجهر والإطباق والاستعلاء"[3].

ويرى الباحث أن هذا السبب الذي ذكره العلماء غير كافٍ لتعليل صفة الاستطالة؛ حيث إن صفات الجهر والإطباق والاستعلاء موجودة أيضًا في حرفي الظاء والطاء، ولا يوجد فيها استطالة، بالتالي يرى الباحث أن صفة الاستطالة في الضاد تعود لسببين رئيسيين:

الأول: يعود لطبيعة المخرج، حيث إن مخرجها جانبي من حافة اللسان، وهذا المخرج انفردت به الضاد عن حروف اللغة العربية، فلم يشاركها فيه حرف، وكما ذكرنا سابقًا فإنّ حافة اللسان كلها تشارك في إخراج الضاد ما بين منطقة ضغط ومنطقة تلامس، وبالتالي يصبح المخرج مغلقًا، فيتسبب ذلك في زيادة ضغط الهواء خلف اللسان، وهذا ما يسبب الاستطالة.

الثاني: ما ذكره العلماء من صفات القوة للضاد، وبالأخص صفة الإطباق، حيث إن الإطباق في الضاد نتج عنه انحصار الصوت في الفم، وبالتالي الضغط على اللسان، واستطالته في الفم.

ولعل هذه الصفة المميزة للضاد هي ما جعل هذا الصوت من أصعب الأصوات على المتكلم العربي وجعل المتحدثين بالعربية يبدلون الضاد بأصوات أخرى قال ابن الجزري: "والضاد: تنفرد بالاستطالة. وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله، فإن ألسنة الناس فيه مختلفة، وقلّ من

---

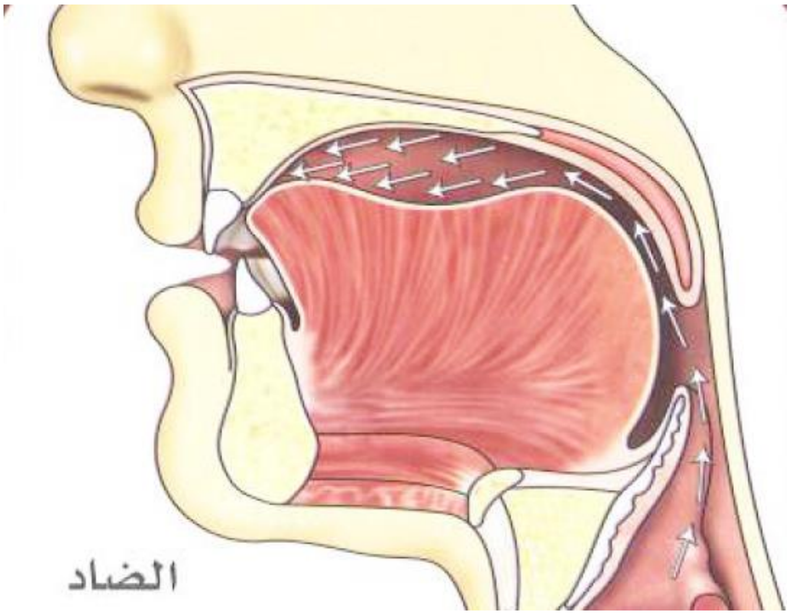
(1) ابن الوجيه، الكنز في القراءات العشر (ج171/1).

(2) ابن الجزري: محمد، التمهيد (ص58).

(3) ابن الجزري: محمد، النشر (ج205/1).

يحسنه فمنهم من يخرجه ظاءً، ومنهم من يمزجه بالذال، ومنهم من يجعله لامًا مفخمة، ومنهم من يشمه الزاي" (1).

والاستطالة من ناحية صوتية تعد من الصفات المحسنة للضاد، وتبرز فعليًا عند سكون الضاد، فعند التلفظ بالضاد الساكنة، تنطبق طائفة كبيرة من اللسان على غار الحنك الأعلى انطباقًا كاملًا تامًا، فينحبس الهواء الخارج من الرئتين خلف اللسان، ويضغط على اللسان، وتحت هذا الضغط يندفع اللسان إلى لأمام قليلًا، حتى يتصل بمنطقة اللثة وأصول الثنايا، ويتوقف عندها حتى يتلاشى الصوت.



شكل (1.3): ضغط الهواء في استطالة الضاد

وينبغي التاكيد على التحذير من تجاوز اللسان منطقة اللثة ووصوله للثنايا وأطرافها؛ لأننا نكون بذلك قد انتقلنا إلى مخرج حرفٍ آخر، وهو الظاء، وهذا ما يقع فيه الكثير من المتكلمين بالعربية، بل وأصبح يُنَظّر له في بعض كتب المحدثين، فنجد مثلًا الدكتورة سعاد عبد الحميد عند تعريفها لعمل الاستطالة في اللسان تقول: "وتحت تأثير هذا الضغط يندفع اللسان إلى الأمام قليلًا حتى يصل إلى الثنايا العليا..." (2)، وكان الأولى بها أن تقول إلى أصول الثنايا العليا أو اللثة العليا بدل الثنايا العليا فلو اصطدم رأس اللسان بالثنايا العليا لتولد صوت الظاء.

---

(1) ابن الجزري: محمد، النشر (ج219/1).

(2) عبد الحميد، تيسر الرحمن في تجويد القرآن (ص96).

وقد وقع الخلط بين الضاد والظاء عند كثير من الناطقين بالعربية، وتعتبر صفة الاستطالة هي الصفة المميزة بين الحرفين؛ لذلك حث علماء التجويد على الإتيان بهذه الصفة للضاد تفريقًا بين الحرفين، قال الداني: "ومن آكد ما على القراء؛ أن يخلصوه [أي الضاد] من حرف الظاء بإخراجه من موضعه، وإيفائه حقه من الاستطالة، ولا سيما فيما يفترق معناه من الكلام، فينبغي أن ينعم بيانه ليتميز بذلك"[1].

قال ابن الجزري أيضا في المقدمة الجزرية:

وَالضَّادَ بِاسْتِطَالَةٍ وَمَخْرَجِ * مَيِّزْ مِنَ الظَّاءِ وَكُلُّهَا تَجِي** [2]

وعلّق صاحب نهاية القول المفيد محمد مكي نصر في الفصل الثالث في بيان الفرق بين الحروف المشتركة في المخرج والصفات: والضاد والظاء المعجمتين اشتركتا جهرًا ورخاوةً واستعلاءً وإطباقًا وإصماتًا لا مخرجًا وانفرد الضاد بالإستطالة وأن هذين الحرفين أعني الضاد والظاء متشابهان في السمع لا تنفرق الضاد عن الظاء إلا في المخرج والإستطالة ...

وكما يُلاحظ من كلام علماء الأصوات المحدثين أن العرب المعاصرين لا ينطقون بالضاد المستطيلة كما وصفها علماؤنا الأوائل البتة بل ينطقون مفخم الدال كما هو حاصل في اللهجة المصرية، أو ينطقونها ظاءً كما هو مسموع في لهجات دول الخليج والعراق وغيرها، وعلى كلتا الحالتين فقدت الضاد صفة الاستطالة، ولذلك يجب التنبه إلى أن الضاد المُتلفظ بها عند العرب المعاصرين في الدول العربية ليست هي الضاد العربية القديمة التي كان ينطق بها العرب، والتي وصفها لنا علماء اللغة وعلماء تجويد القرآن، ويرى الباحث أن الضاد العربية القديمة بقيت محفوظة عند بعض شيوخ الأداء المجازين المتصل سندهم بالنبي صلى الله عليه وسلم والذين ينتشرون في معظم البلدان العربية فمن أراد سماع هذه الضاد فليسمعها من المتقنين من قرّاء القرآن الكريم.

ونستنتج مما سبق أن الضاد تميزت عن غيرها من الحروف بصفة الاستطالة؛ وذلك لطبيعة مخرجها الجانبي وما فيها من صفات القوة، وأن المقصود بالاستطالة هو امتداد اللسان والصوت في مخرج حرف الضاد، كما أن هذه الضاد المستطيلة تلاشت في اللهجات العامية نظرًا لتغير مخرجها.

---

(1) الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (ص268).

(2) ابن الجزري: محمد، المقدمة الجزرية (ص14).

الفصلُ الثانـي

التغيرات الصوتيـة للضاد في بعض اللـهجاتِ

قديمًا وحديثًا

المَبْحَثُ الأَول

إبدال صوت الضاد بصوت الظاء

المَطْلَبُ الأَولِ: إثبات وجود هذه الظاهرة الصوتية:

أكد كثير من علماء اللغة القدماء صعوبةَ النطق بالضاد، وفي هذا يقول ابن الجزري: "وليس في الحروف ما يَعْسُرُ على اللِّسانِ مثله، فإنَّ ألسنة النَّاسِ فيه مُختلفةٌ، وقلَّ من يحسنه" (1)، فإن كان ابن الجزري في عصره يقِرُّ بقلة من يحسن النطق بالضاد، فكيف هو الأمر في عصرنا هذا؟ ومع مرور الزمن ومخالطة العرب للعجم بدأت الضاد تفقد الأداء الصوتي الصحيح لها كنتيجة حتمية لتلك الصعوبة، فأُبدلت الضاد بمجموعة من الأحرف الأخرى قريبة المخرج منها ومتماثلة الصفات معها، وكان أبرز هذه الأحرف حرف الظاء.

وقضية استبدال الظاء بصوت الضاد قضية ليست بجديدة، ولكنّها قديمة قدم الروايات والمؤلفات الأولى في اللغة العربية، حيث أورد العلماء القدامى عدة روايات وأخبار تتحدث عن وقوع حالات معينة لهذا الخلط بين الصوتين، وسأقوم بسرد هذه الوقائع لأثبت قدم هذه القضية، مبتدئًا إياها بعهد الصحابة الأوائل:

1- أورد السيوطي (ت 911 هـ) في المزهر قصة حدثت في مجلس عمر بن الخطاب –رضي الله عنه –يقول فيها: "إن رجلًا قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين أيضحى بضبي؟ قال: وما عليك لو قلت: بظبي، قال: إنها لِغة (بالكسر)، قال: انقطع العتاب ولا يضحى بشيء من الوحش"(2).

2- قال أبو عمرو بن العلاء (154هـ): " سمعت غير واحد من الفقهاء يقول إن الصلاة غير جائزة خلف من لا يميز الضاد من الظاء ولم يفرق بينهما بمعرفة اللفظ"(3). أي أن التباس صوت كل منهما بصوت الأخرى لشبهه به واقع منذ صدر القرن الثاني، وربما منذ القرن الأول.

---

(1) ابن الجزري: محمد، النشر (ج219/1).

(2) السيوطي، المزهر (ج562/1-563).

(3) القرطبي: محمد، التذكار في أفضل الأذكار(ص58).

3- ورُوي عن المدائني (ت 224هـ) قصة طريفة جاء فيها أنّ إمامًا "قرأ ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [1] بالظاء المعجمة، فرفسه رجل من خلفه، فقال الإمام: آه ضهري، فقال له الرجل خذ الضاد من ضهرك، واجعلها في الظالين، وأنت في عافية"[2].

4- وأحيانًا يكون الإبدال من الظاء إلى الضاد، ممّا يؤكد وجود اللبس والخلط بين الحرفين عند جماعة من العرب، وفي ذلك يقول ابن جني (ت 392هـ): " أمّا قول الشاعر:

إلى الله أشكو من خليل أوده * ثلاث خصال كلها لي غائض**

فقالوا: أراد غائظ فأبدل الظاء ضادًا ويجوز عندي أن يكون غائض غير بدل ولكنه من غاضه أي نقصه فيكون معناه أنه يتنقصني ويتهضمني"[3].

5- ومن إبدال الظاء ضادًا أيضًا ما أورده الجاحظ في البيان والتبيين بقوله: " وزعم يزيد مولى عون قال: كان رجل بالبصرة له جارية تسمى ظمياء، فكان إذا دعاها قال يا ضمياء بالضاد، فقال له ابن مقفع قل: يا ظمياء، فناداها: يا ضـــمياء، قال: فلما غيّر عليه ابن المقفع مرتين أو ثلاثا قال: هي جاريتي أو جاريتك"[4].

6- ومن المعلوم أن الكثير من العرب المعاصرين يلفظون الضاد ظاءً وخصوصًا في العراق والجزيرة العربية، ويشير رمضان عبد التواب إلى خلط العرب بين الضاد والظاء، فيقول: "تخلط بعض الشعوب العربية بين صوتي الضاد والظاء خلطًا كبيرًا في النطق والكتابة، كما هو الحال في بعض بلاد العراق وشمالي أفريقيا"[5]. ويذكر بعض الباحثين اللغويين تحول "الضاد إلى ظاء في عامية المغرب وخاصة برقة، وفي لهجة العراق، وفي لهجة نجد، والقصيم، وفي لهجات القبائل العربية النازحة إلى مصر من الغرب، فبدلًا من: وضوء، يضيع، يضرب، يضم...إلخ. يُقَّال: وظوء، يظيع، يظرب، يظم...إلخ." [6]، وكذلك البدو في مصر، وفلسطين، وغيرهما من الدول العربية، حيث تحولت الضاد

(1) [الفاتحة: 7].
(2) بتصرف: ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين (ص112).
(3) ابن جني، سر صناعة الإعراب (ج215/1).
(4) الجاحظ، البيان والتبيين (ج33/2).
(5) ابن الجزري: محمد، النشر (ج219/1).
(6) وافي، علم اللغة (ص284).

عندهم إلى "صوت أسناني، جانبي، رخو، مجهور، مطبق، قريب من الظاء العربية. يقول البدوي: يضحك، فاضي، مريض، ضيف. فيسمع السامع الضاد قريبة من الظاء التي ينطقها مجيدو القراءات القرآنية في العصر الحاضر "(1).

7- ولم يسلم من الخلط بين الضاد والظاء قراء القرآن الكريم في مختلف العصور، حتى رأينا علماء التجويد والقراءات قديمًا وحديثًا يؤكدون على وجوب الفصل بينهما، ووجوب ترويض أعضاء النطق بالتمرن على أداء الضاد؛ حتى لا تختلط بالظاء، في إشارةٍ إلى أنّ هذا النطق ليس من لغة القارئ؛ ولهذا حذّر ابن الجزري في مقدمته من الخلط بين الحرفين، وخصوصًا إذا تجاورا في النطق، يقول ابن الجزري:

وَإِنْ تَلاَقَيَا البَيَانُ لاَزِمُ * أَنْقَضَ ظَهْرَكَ يَعَضُّ الظَّالِمُ** (2)

ويحذر مكي بن أبي طالب القارئ من هذا اللحن الجلي واضعًا العلاج والحل، فيقول: "فلابد للقارئ المجود أن يلفظ بالضاد مفخمة، مستعلية، منطبقة، مستطيلة، فيظهر صوت خروج الريح عند ضغط حافة اللسان بما يليه من الأضراس عند اللفظ بها، ومتى فرّط في ذلك، أتى بلفظ الظاء أو بلفظ الذال، فيكون مبدلًا ومغيّرًا"(3)، ويقول عبد الوهاب القرطبي واصفًا تحول مخرج الضاد إلى الظاء عند قرّاء عصره: "وأكثر القراء اليوم على إخراج الضاد من مخرج الظاء، ويجب أن تكون العناية بتحقيقها تامة"(4).

كل ما سبق يدل على وجود هذه الظاهرة اللغوية وبقوة منذ القدم في المجتمعات العربية، وينبغي قبل أن نُسدل الستار على هذا الموضوع أن ننوه إلى أن الخلط لم يعد مقتصرًا فقط على اللفظ، وإنما تعدّاه إلى الكتابة في كثير من الأحيان، حيث لا تزال الظاء تحل محل الضاد في بلاد الخليج، وكثيرٍ من اللهجات البدوية المنتشرة في الوطن العربي؛ وذلك لأن كل ما يكتب بالضاد ينطق ظاءً، وهذا ما جعل الإبدال يمتد إلى الكتابة؛ لأن الإنسان يكتب ما يسمع، والسمع أبو الملكات اللغوية، وآية ذلك تظهر في تدوين أسماء الناس (الأعلام)، فقد يكون الرسم الحقيقي للاسم بالضاد، فيرسم بالظاء، وقد

---

(1) مطر، لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط (ص47).

(2) ابن الجزري: محمد، المقدمة الجزرية (ص16).

(3) انظر: الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (ص267-268).

(4) القرطبي: عبد الوهاب، الموضح في التجويد (ص 114).

يكون رسمه الحقيقي بالظاء، فيرسم بالضاد، وسبب ذلك راجع إلى أن الناس لا يفرقون في الاستعمال بين الحرفين، ولا يسمعونهما مختلفين، ومن ذلك ما يتضمنه الجدول التالي [1]:

جدول (2.1): أمثلة الخلط بين الضاد والظاء كتابيًا

الاسم بالضاد	رسمه بالظاء	الاسم بالظاء	رسمه بالضاد
تاضي	تاظي	حظاظ	حضاض
خضران	خظران	حظيظ	حضيض
ضاحي	ظاحي	حظيه	حضيه
ضبيب	ظبيب	ظافر	ضافر
ضفيدع	ظفيدع	ظبية	ضبية
ضيف الله	ظيف الله	ظويهر	ضويهر
عايض	عايظ	حفيظ	حفيض
عواضه	عواظه	حفيظة	حفيضة
عوضه	عوظه	حنيظل	حنيضل
عيضه	عيظه	حويفظ	حويفض
غاضي	غاظي	محيفظ	محيفض
معيض	معيظ	مغيظ	مغيض
موضي	موظي	مغيظه	مغيضه

(1) الشمسان، تباين كتابة الأسماء العربية في الحروف والتشكيل: صوره وأسبابه (ص18)، وانظر : الرابط العنكبي: http://www.aboaws.com/KITABANNAS.ht

ممّا سبق يتأكد لنا أن قضية إبدال الضاد بالظاء باتت ظاهرة لغوية، شائعة، مسموعة في كثير من اللهجات العربية، وامتد أثرها إلى الكتابة وهذا ينافي استقلالية حروف وأصوات اللغة العربية.

المَطلبُ الثَّاني

المؤلفات التي صُنِّفت لدراسة هذه الظاهرة الصوتية

بعد أن أصبحت قضية إبدال الضاد بالظاء ظاهرة لغوية منتشرة في كثير من المجتمعات العربية، كما أثبتت الروايات السابقة التي تبين الخلط الذي وقع بين الحرفين، قام علماء اللغة والتجويد والقراءات قديمًا وحديثًا بتصنيف العديد من الكتب والمؤلفات والرسائل التي ألفت للتمييز بين الضاد والظاء، وقد اتجهت هذه المصنفات الاتجاهات الآتية [1]:

1- **معرفة إخراج الضاد:** اعتمد بعض المؤلفين في كتبهم على تحقيق إخراج حرف الضاد، ونطقه نطقًا صحيحًا كما نطقه القدامى الفصحاء، ومن هذه المؤلفات: غاية المراد في معرفة إخراج الضاد لشمس الدين بن النجار.

2- **حصر الظاءات:** توجهت مجموعة أخرى من العلماء إلى فكرة حصر الظاءات العربية، انطلاقًا من أن حفظها واستيعابها في الذاكرة يجعل حافظها بعيدًا عن اللبس والخلط بين الحرفين، وأشهر من فعل ذلك: الحريري في مقامته الحلبية المشهورة، والتي أورد فيها منظومة ادّعى أنه جمع فيها واستقصى بها كل الجذور الظائية في اللغة العربية.

3- **حصر الظاءات والضادات:** والتزم فيه أصحابه أن يحصروا جميع الكلمات التي تكتب بالضاد، والأخرى التي تكتب بالظاء في اللغة العربية، وهذا ما فعله أحمد عزت في كتابه: فصل القضاء في الفرق بين الضاد والظاء.

4- **حصر نظائر الضاد والظاء:** وفيه يتم تحديد وحصر الكلمات التي تكتب بالحرفين، وتختلف في المعنى مثل: الغيض والغيظ، وألف في هذا المضمار الكثير من العلماء، منهم ابن مالك في مؤلفه: الاعتماد في نظائر الظاء والضاد.

5- **تحديد الفروق بين الكلمات الضادية والظائية:** وفيها يحدد المؤلف الضوابط الصوتية التي يكون فيها الحرف ظاءً أو ضادًا، كأن يقول أنّ كل ما فيه ثاء فالحرف المشتبه ضاد، لأن الظاء لا تجتمع مع الثاء، وممن ألف في ذلك ابن مالك.

---

(1) بتصرف: سعدون: توظيف حرف الظاء في القرآن الكريم (ص58-61).

ولقد زاد عدد هذه المصنفات والكتب والرسائل والمنظومات التي تعنى بهذا الموضوع عن مائة مصنف، جمعها أحمد سعدون في رسالته (توظيف حرف الظاء في القرآن الكريم)، يقول أحمد سعدون بعد أن سرد هذه المصنفات: "تحصل لنا من تراث العرب ثلاثة وعشرون ومائة مؤلَّف في موضوع الضاد والظاء، قديمًا وحديثًا، بين أرجوزة وقصيدة ورسالة وكتاب، لمائة وعشر مؤلفين، منهم تسعة مجهولون، وهي –كما نظن–أكبر قائمة تم جمعها، حسب ما توصلنا إليه وتجمع لنا من مادة علمية تخص هذا الموضوع." (1)

ويرى الباحث أنه لولا الخلط الشديد واللبس الواضح بين الضاد والظاء الذي وقع فيه الناس – عربهم وعجمهم–لما أُلفت مؤلفات بلغت العشرات لكشف ذلك الالتباس.

وممّا تقدم يتبين أنّ اتجاهات التأليف في هذا الموضوع تعددت، واتسعت، وتنوعت، وأنّ عددَ المؤلفات الخاصة للحديث عن هذه الظاهرة اللغوية عددٌ كبيرٌ بما يناسب حجمَ المشكلةِ.

---

(1) سعدون: توظيف حرف الظاء في القرآن الكريم (ص78).

المطلب الثالث

علاج هذه الظاهرة الصوتية

الضاد والظاء من الأحرف التي تميزت وتفردت بها اللغة العربية، هذا ما أكده ابن الجزري بقوله في التمهيد "وكذا ستة أحرف انفردت بكثرة استعمالها العرب، وهي قليلة في لغات العجم، ولا توجد في لغات كثير منهم، وهي العين والصاد والضاد والقاف والظاء والثاء"[1].

ولكي نقوم بعلاج مشكلة الخلط بين الضاد والظاء يجب أن نتعرف على أصل هذه المشكلة، وكل ذلك يكون بالعودة إلى الوراء، والإبحار في كتب العلماء القدامى، وخيرُ دواءٍ لنا في هذه المسألة كلام العلامة ابن الجزري، فقد ميز –رحمه الله– بين صوت الحرفين بالمخرجين وخص الضاد بصفة الاستطالة، فقال رحمه الله: "وأما الضاد: فتقدم الكلام على أنها تخرج من المخرج الرابع من مخارج الفم، من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس، وهي مجهورة رخوة مطبقة مستعلية مستطيلة، واعلم أن هذا الحرف ليس من الحروف حرف يعسر على اللسان غيره، والناس يتفاضلون في النطق به، فمنهم من يجعله ظاء مطلقًا، لأنه يشارك الظاء في صفاتها كلها، ويزيد عليها بالاستطالة، فلولا الاستطالة واختلاف المخرجين لكانت ظاء، وهم أكثر الشاميين وبعض أهل المشرق. وهذا لا يجوز في كلام الله تعالى، لمخالفة المعنى الذي أراد الله تعالى، إذ لو قلنا (الضَّالِّينَ) [2]، بالظاء كان معناه الدائمين، وهذا خلاف مراد الله تعالى، وهو مبطل للصلاة، لأن (الضلال) هو ضد (الهدى)، كقوله ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [3]، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [4]، ونحوه، وبالظاء هو الدوام كقوله: ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨﴾ [5]، وشبهه، فمثال الذي يجعل الضاد ظاء في هذا وشبهه

(1) ابن الجزري: محمد، التمهيد (ص102).
(2) [الفاتحة: 7].
(3) [الإسراء: 67].
(4) [الفاتحة: 7].
(5) [النحل: 58].

كالذي يبدل السين صادًا في نحو قوله: ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ۝٦٢ ﴾ [1]، و﴿ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ۝٧ ﴾[2] فالأول من السر، والثاني من الإصرار[3].

وخلاصة كلام العلامة ابن الجزري أنّ هناك فرقًا بين الضاد والظاء من حيثُ المخرجُ ومن حيثُ الصِّفةُ.

أما من حيثُ المخرج:

❋ فمخرج الضاد القرآنية القديمة كما علمنا هو: إحدى حافتي اللسان أو كلتاهما مع ما يحاذيه من الأضراس العليا.

❋ بينما مخرج الظاء هو: من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، فهناك اختلاف من حيثُ المخرجُ كما هو واضحٌ.

وأمّا من حيثُ الصِّفة:

❋ فصفات حرف الضاد هي: الجهر، والرخاوة، والاستعلاء، والإطباق، والإصمات، والاستطالة.

❋ أمّا صفات حرف الظاء هي: الجهر، والرخاوة، والاستعلاء، والإطباق، والإصمات.

❋ فقد زادت الضاد وتميّزت عن الظاء بصفة الاستطالة.

إذن نستنتج من كلام ابن الجزري ما يلي:

❋ أن الضاد تتميز عن الظاء بمخرجها، وكذلك بصفة الاستطالة فيها.

❋ أن ظاهرة الإبدال حدثت بسبب التشابه الكبير بين صفات الحرفين؛ حيث إن الفرق الوحيد بين صفات كلا الحرفين زيادة صفة الاستطالة في الضاد عن الظاء.

❋ لا يجوز إبدال الضاد ظاءً عند تلاوة القرآن؛ لأن هذا يؤدي إلى تغيير المعنى في كثيرٍ من الحالات، وسيقوم الباحث بإفراد مبحثٍ في الفصل التالي لإثبات صحة هذا الكلام.

---

(1) [طه: 62].

(2) [نوح: 7].

(3) ابن الجزري: محمد، التمهيد (ص130).

وهناك نصوص كثيرة تؤكّد ما ذهب إليه ابن الجزري، فمكي بن أبي طالب يقول: "والضاد يشبه لفظها لفظ الظاء؛ لأنها من حروف الإطباق، ومن الحروف المستعلية، ومن الحروف المجهورة، ولولا اختلاف المخرجين وما في الضاد من الاستطالة لكان لفظهما واحدًا، ولم يختلفا في السمع..."[1]. ويقول المرادي: "ولولا اختلاف المخرجين وما في الضاد من الاستطالة لاتّحدا في السمع [2].

ويخلص الباحث في النهاية إلى أنّه رغم التشابه الكبير بين الضاد والظاء في الصفات، إلّا أنّ هذا لا يعدم وجود فروقٍ صوتيةٍ بين الحرفين، حيث إن كل حرف منهما يمتلك مخرجًا خاصًا به؛ ولذلك وجب علينا إخراج الضاد من مخرجها الصحيح من حافة اللسان وليس من طرفه، وكذلك يجب إخلاص صفة الاستطالة لها، كما أنه يجب ترسيم وتعميم وفرض هذا النطق على المستويات التربوية والتعليمية بمختلف أطوارها؛ حتى تستعيد الضاد نطقها الصحيح ومكانتها المتميزة بين الحروف العربية.

---

(1) مكي، الرعاية (ص158).

(2) انظر: الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (ص268).

المَبْحَثُ الثَانِي

إبدال صوت الضاد بصوت اللام المغلظة

المَطْلَبُ الأول: إثبات وجود هذه الظاهرة الصوتية:

قد يصعب علينا تصور إبدال الضاد لامًا مغلظة عند بعض الناطقين بالعربية، لكن هذه الظاهرة اللغوية عُرفت عند بعض العرب، وقد جاء هذا الخلط عند من حاولوا نطق الضاد العربية القديمة الفصحى بصفاتها القوية وإخراجها من مخرجها الصحيح في القرنين السادس والسابع الهجريين بعد أن تغير مخرجها من حافة اللسان إلى طرفه، فمع شدة حرصهم على إخراج الضاد جانبية نطقوها شبيهة باللام المفخمة، وفي ذلك يقول المقرئ النحوي علم الدين السخاوي المصري (ت 643 هـ) في قصيدته النونية عمدة المفيد وعدة المجيد:

والضادُ عالٍ مُستطيلٌ مُطْبَقٌ * جَهِرٌ يَكِلٌ لديه كلُّ لسانِ**

حاشا لسانِ بالفصاحةِ قَيِّمٍ * ذَرِبٍ لأحكام الحروف مُعانِ**

كمْ رامَهُ قومُ فما أبدَوا سِوى * لامِ مُفخَمَةٍ بِـــلا عِرفـــانِ** [1]

أمّا في القرن التاسع الهجري فإنّنا نجد ابن الجزري (ت 833 هـ) يشير في كتابه النشر إلى بعض مظاهر التغير والتحول في نطق الضاد في عصره والخلط بين الضاد من جهة والظاء والذال واللام المغلظة والزاي من جهة أخرى، دون تحديد للمكان أو الأقوام الذين يقع منهم هذا الخلط، يقول ابن الجزري: "والضاد تنفرد بالاستطالة، وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله؛ فإن ألسنة الناس فيه مختلفة، وقل من يحسنه فمنهم من يخرجه ظاء، ومنهم من يمزجه بالذال، ومنهم من يجعله لامًا مفخمة، ومنهم من يشمه الزاي" [2].

وقد ذكر ابن الجزري فيما بعد في كتابه التمهيد أن نطق الضاد لاما مغلظة تعتبر ظاهرة صوتية عند الزيالع وبعض القبائل المتأثرة بهم، يقول ابن الجزري: "ومنهم من يخرجها –أي الضاد–

---

(1) الدسوقى، مجموعة مهمة في التجويد والقراءات (ص16).

(2) ابن الجزري: محمد، النشر (ج219/1).

لامًا مفخمة، وهم الزيالع ومن ضاهاهم، واعلم أن هذا الحرف خاصة إذا لم يقدر الشخص على إخراجه من مخرجه بطبعه، لا يقدر عليه بكلفة ولا بتعليم"[1].

ومدينة زيلع تقع جنوب جيبوتي بجمهورية الصومال قرب باب المندب، حيث تطل على خليج عدن وجنوب غرب اليمن، وأهلها عبارة عن جيل من السودان في طرف أرض الحبشة [2].

وذكر أبو الطيب اللغوي (ت 351 هـ) أمثلة مسموعة لإبدال الضاد لامًا، ومن ذلك [3]:

- (تقيّض فلان أباه –تقيّل فلان أباه) ← بمعنى نزع إليه في الشبه.
- (رجلٌ غُضُبَّةٌ – رجلٌ غُلُبَّةٌ) ← بمعنى قصير القامة.

وقد فسر بعض الباحثين ما ذهب إليه أبو علي الفارسي (ت 377هـ) من ضعف إطباق الضاد عند البعض على كونها شبيهة باللام، يقول الفارسي: "كما إذا قلت: (ضرب) ولم تُشبِع مخرجها، ولا اعتمدت عليه ولكن تُخفِّف وتختلِس؛ فيضعُف إطباقها"[4]، حيث علّق كبير بن عيسى على المقولة السابقة بقوله: "فعلى هذا تكون شبيهةً باللاَّم"[5].

أمّا عن آراء المستشرقين في هذا الموضوع، فقد ذكر برجشتراسر أن ظاهرة الإبدال هذه موجودة الآن عند أهل حضر موت، وكذلك عند الأندلسيين سابقًا، يقول برجشتراسر: "ويغلب على ظني أن النطق العتيق للضاد لا يوجد الآن عند أحد من العرب، غير أن للضاد نطقًا قريبًا منه جدًا عند أهل حضرموت، وهو كاللام المطبقة. ويظهر أن الأندلسيين كانوا ينطقون الضاد مثل ذلك؛ ولذلك استبدلها الأسبان بصوت LD في الكلمات العربية المستعارة في لغتهم، مثال ذلك أن كلمة (القاضي) صارت في الأسبانية: alcalde"[6]، ويدلّل برجشتراسر على وجود ظاهرة إبدال الضاد

---

(1) ابن الجزري: محمد، التمهيد (ص131).
(2) انظر: الحموي، معجم البلدان (ج3/ 164).
(3) انظر: أبو الطيب، الإبدال (ج2/ 277).
(4) أبو حيان، ارتشاف الضرب (ج1/ 15).
(5) ابن عيسى، ألفونات صوت الضاد (غير مرقم).
(6) براجستراسر، التطور النحوي (ص10).

باللام المغلظة بما ذكره الزمخشري في كتابه المفصّل من أنّ بعض العرب تقول: (الطجع) بدل: (اضطجع) [1].

ويعتقد هنري فليش أن الضاد القديمة الأصيلة كانت تجمع بين صوتي الظاء واللام، أي أن الضاد الأصيلة –حسب رأيه–تداخلت مع اللام منذ القدم، يقول فليش: "ولقد كان العرب يتباهون بنطقهم الخاص لصوت الضاد، وهو عبارة عن صوت مفخم، يحتمل أنه كان ظاء (d)جانبية، أي أنه كان يجمع الظاء واللام في ظاهرة واحدة"[2].

ولا تزال هذه الظاهرة الصوتية موجودة عند بعض القبائل في العصر الحديث، ولكن على قلة وندرة، وقد ذكر الدكتور أيمن سويد في إحدى حلقاته التلفزيونية المسجلة أنه لم يتصوّر وجود إبدال الضاد لامًا حتى سمع رجلًا نيجيريًا يقرأ في بيت الله الحرام "ولا اللالين" بدلًا من "ولا الضالين"؛ فأيقن بعدها بوجود هذه الظاهرة [3].

---

(1) بتصرف: براجستراسر، التطور النحوي (ص10).

(2) فلش، العربية الفصحى (ص37).

(3) أيمن سويد، الإتقان لتلاوة القرآن، الحلقة (36)، (قناة اقرأ الفضائية).

المَطْلَبُ الثَّانِي

علاج هذه الظاهرة الصوتية

هناك ترابط صوتِي بين الضاد واللام، حيث إن بينهما قاسمًا مشتركًا لخروجهما من الحافتين، فمخرج صوت اللام وفق ترتيب سيبويه وابن الجزري يأتي تاليًا لمخرج الضاد، وبالتالي فإن الضاد واللام يقتسمان حافة اللسان، يقول سيبويه: "ومن بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس مخرج الضاد ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام" (1). وقال ابن الجزري في مقدمته:

أَسْفَلُ وَالْوَسْطُ فَجِيمُ الشِّينُ يَا * وَالضَّادُ مِنْ حَافَتِهِ إِذْ وَلِيَا**

لأضراس مِنْ أَيْسَرَ أَوْ يُمْنَاهَا * وَاللاَّمُ أَدْنَاهَا لِمُنْتَهَاهَا (2).**

وتشارك الضاد اللام في صفة الجهر، حيث إن هذين الحرفين يصاحب النطقَ بهما اهتزازٌ للأوتار الصوتية، أما من ناحية الشدة والرخاوة فإنّ سيبويه عدّ الضاد الفصيحة من الحروف الرخوة كما مرّ معنا، في حين عد اللام من الحروف المتوسطة بين الشدة والرخاوة ووصفها بصفة الانحراف، يقول سيبويه: "ومنها المنحرف، وهو حرفٌ شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام. وإن شئت مددت فيها الصوت. وليس كالرخوة؛ لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه. وليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيتي مستدقّ اللسان فويق ذلك."(3).

أضف إلى ذلك أننا إذا قمنا بتفخيم اللام، فإنها تصبح لامًا مغلظةً، تشترك مع الضاد حينها في صفتي الاستعلاء والإطباق.

وبعد أن تعرفنا على التقارب الصوتي بين الضاد واللام المغلظة، لا بد أن نعلم أن اجتماع خروج الحرفين من الحافتين، واشتراكهما في التفخيم والإطباق والجهر؛ قد يؤدي إلى الخلطِ بينهما،

---

(1) سيبويه، الكتاب (ج405/2).

(2) ابن الجزري: محمد، المقدمة الجزرية (ص9).

(3) سيبويه، الكتاب (ج134/4،435).

والاشتباهِ في القراءة بين الضاد واللام المغلظة، ومقاربةِ الضاد اللامَ المغلظةَ في اللفظ عند بعض اللهجات، وإن كانت قليلة.

وعلى من وقع بهذا اللحن أن يُحكِمَ الضغط والاتّكاء بحافة اللسان على الأضرسِ العليا، ويمنع خروج الهواء من الحافة المقابلة للأضراس، حتى لا تتحوّل الضاد إلى لام، فيقع المحذور، ولذلك وجب علينا الانتباه إلى هذه الجزئية الصوتية الدقيقة، وتمييز كل حرف عن الآخر بمخرجه وصفاته، فالضادُ مستقلةٌ عن اللام بمخرجٍ خاصٍّ وصفاتٍ مميزةٍ.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ

إبدال صوت الضاد بصوتي الزاي والذال

المَطْلَبُ الأول: إثبات وجود هذه الظاهرة الصوتية:

أشار علّامةُ القراءات ابن الجزري في كتابه النشر إلى بعض الظواهر الصوتية الخاطئة التي لاحظها في عصره، حيث لاحظ أن بعض العوام كان يخلط الضاد الفصيحة بصوت الزاي والبعض الآخر يمزجه بصوت الذال اللسانية، وكان انتشار هذه الظواهر الصوتية في القرن الثامن الهجري، وبيَّن ذلك بقوله: "والضاد انفرد بالاستطالة وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله... ومنهم من يمزجه بالذال... ومنهم من يشمه الزاي وكل ذلك لا يجوز" (1)، وأكد الدكتور أحمد عبد المجيد هريدي على وجود الخلط بين الضاد والزاي قبل الإسلام عند اليمنيين والثموديين والصفويين واللحيانيين وقال في بحثٍ له: "... ومثل هذا الخلط في النطق بين الضاد والزاي نجد ما يماثله _ قبل الإسلام _ في نقوش الكتابات العربية الجنوبية القديمة التي وجدت في اليمن وفي نقوش الكتابات الثمودية والصفوية واللحيانية التي وجدت في شمال الحجاز... وفي ذلك يذكر د: خليل يحيي نامي أن رسم الضاد في الكتابات العربية الجنوبية الثمودية والصفوية يكاد يكون قريبًا في الشكل من رسم حرفي الصاد والذال، وقد يدل هذا على أن الضاد كانت قريبة في المخرج في زمن هذه الكتابات من مخرجي الذال والصاد، كما أن إبدال الضاد بالزاي في نقش سبأ متأخر يدل على أن مخرج الضاد عند العرب الجنوبيين كان عبارة عن ذالٍ مطبقةٍ، وكذلك عند الثموديين والصفويين" (2).

وتشير مارية هنفر إلى التداخل بين صوتي الضاد والزاي في الحبشة وجنوب الجزيرة العربية قائلةً: "إن هذه الضاد احتكاكية في الحبشة، ولابد أنها كانت كذلك في العربية الجنوبية، والدليل على صحة ذلك: ورود بعض الكلمات مكتوبةً بالضاد في بعض النقوش، وبالزاي في بعضها الآخر "(3).

بل ونجد هذه الظاهرة الصوتية موجودة عند قرّاء القرآن الكريم فيما مضى، وفي ذلك ينقل المرعشي ما أورده مكي في (الرعاية) من أن القارئ إذا فرط في تجويد لفظ الضاد، أتى بلفظ الظاء

---

(1) ابن الجزري: محمد، النشر (ج219/1).

(2) هريدي، صوت الضاد وتغيراته (ص77-78).

(3) انظر: عبد التواب، مشكلة الضاد العربية (ص6).

أو الذال، ومتى فرط في تجويد لفظ الظاء، أخرجها إلى الضاد أو الذال. ويستنتج المرعشي أن الحروف الثلاثة وهي الضاد والظاء والذال متشابهات في السمع، وإنما يتمايزن فيه بمخارجهن وبعض صفاتهن (1).

وقد أشار أبو الحسن الصفاقسي (ت 1118 هـ) إلى بعض أشكال التغيير الصوتي للذال إلى صوت الضاد اللسانية حال تلاوة القرآن الكريم، وعده من اللحن الفاحش الجلي وذلك عند مجاورة الذال أحد حروف الاستعلاء السبعة وهي القاف والظاء والخاء والصاد والضاد والغين والطاء، وفي ذلك يقول الصفاقسي في كتابه الرائع (تنبيه الغافلين) في سياق تنبيهاته على الأخطاء واللحون اللفظية التي تقع في نطق صوت الذال بقوله: "وبعضهم يجعلها عند حروف الاستعلاء ضادًا، وهو لحن فاحش"(2).

وذكر أبو الطيب اللغوي (ت 351 هـ) في كتابه الإبدال أمثلة مسموعة لإبدال الضاد ذالًا، ومن ذلك (3):

- (دواء حُضَضٌ –دواء حُضَذٌ) ← دواء هو عبارة عن صمغ من الصبر ونحوه.
- (غَضَضْتُكَ من مالك – غَذَذْتُكَ من مالك) ← بمعنى نقصتك من مالك.

وذكر أيضًا أمثلة لإبدال الضاد زايًا، ومن ذلك (4):

- (رجلٌ ضَمِنٌ –رجلٌ زَمِنٌ) ← رجلٌ مبتلى ومريض.
- (وَخَضَهُ بالرمح – وَخَزَهُ بالرمح) ← طعنه طعنة غير يسيرة.

أمّا في الوقت المعاصر فلا تكاد توجد هذه الظاهرة الصوتية في اللهجات العامية العربية إلا في القليل من الكلام، كما هو الحال مثلًا في كلمة (ضابط) حيث تبدل الضاد فيها عند المصريين زايًا فينطقونها (زابط).

ويستعين بعض الأعاجم في الوقت المعاصر بحرف الزاي كبديل للضاد الذي يعجزون عن النطق به، واستشهد الزبيدي على عجز غير العرب عن نطق الضاد بكلمة (ضروري) فهم ينطقونها

---

(1) المرعشي، كيفية أداء الضاد (ص20-21).
(2) الصفاقسي، تنبيه الغافلين (ص58).
(3) انظر: أبو الطيب، الإبدال (ج2/ 16).
(4) انظر: المرجع السابق، (ج2/ 134-137).

(زروري) [1].

بعد كل ما سبق، نستطيع القول بأن إبدال صوت الضاد اللسانية بصوتي الزاي والذال ظاهرة صوتية موجودة في بعض المجتمعات اللغوية واللهجية العربية القديمة في اليمن، وبعض المناطق المجاورة لها، ولكنّنا الآن لا نكاد نسمع هذه الظاهرة إلا نادرًا، مع سماعها من بعض الأعاجم الذين يعجزون عن نطق صوت الضاد.

---

(1) الزيدي، دراسات نقدية (ص126).

المطلب الثاني

علاج هذه الظاهرة الصوتية

من المعلوم أن أول طريق العلاج هو الوصف الدقيق للعلة والمرض، وكنا قد تعرفنا على مخرج الضاد، حيث إنه يخرج من حافة اللسان مع ما يليه من الأضراس العليا، أمّا حرف الذال فإنه يخرج من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا [(1)]، بينما يخرج حرف الزاي من طرف اللسان مع ما فوق الثنايا السفلى أو مع ما بين الثنايا السفلى والعليا [(2)]، ورغم اختلاف هذه المخارج الثلاثة، إلا أنها تعتبر مخارج متقاربة نسبيًا.

وتشترك هذه الأحرف الثلاثة في صفتي الجهر والرخاوة، ولذلك جمعها سيبويه في مجموعة واحدة، وذلك دلالة على أن هذه الحروف تشترك في عدة ضوابط صوتية، حيث إنها يخرج معها ما يشبه النفخة -كما ذكر سيبويه-، وعلل ذلك بقوله: " لأن هذه الحروف إذا خرجت بصوت الصدر انسل آخره وقد فتر من بين الثنايا؛ لأنه يجد منفَذاً ، فتسمع نحو النفخة " [(3)]. ويقصد بـ (خرجت بصوت الصدر) أنها أحرف مجهورة لأن الجهر هو اهتزاز للوترين الصوتيين، فيُحدث صوتًا داخليًا في الصدر، ويَقصِدُ بـ (يجد الصوت منفذًا) أنها أحرف رخوة حيث إن الرخاوة هي جريان الصوت، فيجد الصوت منفذًا لسهولة جريانه، إذن يبدو أنّ سيبويه قد انتبه إلى التقارب الحاصل بين هذه الأحرف الثلاثة واشتراكها في بعض الصفات، فجمعها في مجموعةٍ واحدة، والتعليل الدقيق الذي قام به سيبويه يؤكد ما ذهبنا إليه ويتوافق معه.

والآن، بعد أن تعرّفنا على التقارب بين صوت الضاد من جهة وصوتي الذال والزاي من جهةٍ أخرى في المخرج وبعض الصفات، كان لا بد أن ننتبه ونحافظ على استقلالية مخارج هذه الأحرف رغم تقاربها، والتأكيد والتركيز على الصفات المميزة لكل حرف، فالضاد تتميز عن الذال والزاي بمخرجها الجانبي، وكذلك بصفات الاستعلاء والإطباق والاستطالة، فينبغي علينا الحفاظ على مخرج الضاد، وإظهار وإبراز الصفات المميزة له عند النطق به حتى لا يلتبس بهذين الصوتين.

---

(1) المصري، العميد في علم التجويد (ص56).

(2) المرجع السابق، (ص55).

(3) سيبويه، الكتاب (ج174/4).

الفصلُ الثالثِ

تطبيقـــاتٌ لـغويـــةٌ

المبحثُ الأول

تطبيقات على القرآن الكريم

كما علمنا في الفصل السابق، فإنّ كثيرًا من العرب يبدلون الضاد ظاءً، بل إنّ بعض اللغويين يعتقد أن الضاد هي نفسها الظاء ولا فرق بينهما [1]، وكنا قد تحدثنا في سياق الرد على الفريق السابق أن إبدال الضاد ظاءً قد يؤدي إلى تغيير المعنى في أحيان كثيرة، انسياقًا مع القاعدة اللغوية المشهورة (التغير في المبنى يؤدي إلى التغير في المعنى)، ولتتمة الفائدة كان لا بد من توضيح كيف يتغير المعنى بتغير الضاد إلى ظاء عن طريق سرد بعض الأمثلة التطبيقية؟ ولضمان شمولية البحث آثرت أن أنوع الأمثلة؛ لتشمل منابع اللغة العربية الرئيسة، وهي القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي الأصيل، وقد اخترت عشرة أمثلة من كل جانب، ليتحصّل لنا في نهاية هذا الفصل ثلاثين مثالًا متنوعًا.

وأول جانب نتناوله هو القرآن الكريم، كلام الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وسأذكر بعض الآيات التي ورد فيها حرف الضاد في إحدى كلماتها، مبينًا معنى الكلمة الضادية ثم معنى الكلمة الظائية، وموضحًا الفرق بينهما، وأثر إبدال الضاد ظاءً على معنى الآية القرآنية وتفسيرها، وقد تنوعت الأمثلة وشملت مواضع مختلفة من القرآن الكريم، ولم تقتصر على جزء أو سورة بعينها، وهذه الأمثلة هي:

1- قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ١٨ ﴾[2].

تحاضون (بالضاد): الحض معناه التحريض، يقال حضضت فلانًا على الشيء، أحضه أي أحرضه عليه. قال الخليل: الفرق بين الحث والحض، الحث يكون في السير والسوق وكل شيء، والحض لا يكون في سير ولا في سوق.

بينما تحاظون (بالظاء) فمن الحظ وهو النصيب. [3]

(1) انظر: بشر، علم الأصوات (ص264).

(2) [الفجر:18].

(3) انظر: ابن الجزري: محمد، التمهيد، (ص210-219).

نلاحظ أنه عند إبدال الضاد ظاء يتحوّلُ المعنى من الدعوة إلى الحث على إطعام المسكين إلى تقاسم طعام المسكين وأخذ النصيب لكل واحد، ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ ﴾ (1).

2- قال تعالى: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ ﴾ (2).

غيض (بالضاد): غاضَ الماءُ يَغِيضُ غَيْضًا ومَغِيضًا ومَغاضًا وانْغاضَ: نقَص أَو غارَ فذهبَ، وَفِي الصِّحَاحِ: قَلَّ فنضَب (3).

بينما غيظ (بالظاء): فمن الغيظ وهو الغَضب، وَقِيلَ: الْغَيْظُ غَضَبٌ كَامِنٌ لِلْعَاجِزِ، وَقِيلَ: هُوَ أَشدُّ مِنَ الغضَب، وَقِيلَ: هُوَ سَوْرَتُه وأَوّله (4).

نلاحظ أنه عند إبدال الضاد ظاء يتغير المعنى من الإخبار بنقصان الماء إلى شدة غضب الماء وغيظها وحنقها. ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة الرعد: ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾(5).

3- قال تعالى:﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤ ﴾ (6).

ضنين (بالضاد): الضِّنُّ والضِّنَّةُ والمَضَنِةُ، كلُّ ذلك من الإمساكِ والبُخْل، تقول: رجلٌ ضَنينٌ(7).

بينما ظنين (بالظاء): الظَّنينُ: المُعادي، والظَّنينُ: المُتَّهَمُ، والاسمْ الظِّنَّةُ. وهو موضع ظنتي أي تُهْمَتي (8).

---

(1) [الحاقة:34].

(2) [هود:44].

(3) ابن منظور، لسان العرب (ج201/7).

(4) المرجع السابق، (ج7/ 450).

(5) [الرعد:8].

(6) [التكوير:24].

(7) الفراهيدي، العين (ج10/7).

(8) المرجع السابق، (ج8/ 151).

نلاحظ أنه عند إبدال الضاد ظاء، يتغير المعنى من الإخبار بأن محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس بخيلًا بتبليغ ما أوحي إليه من الغيب، إلى الإخبار بأن محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس متهمًا بالافتراء والكذب في الغيبيات، مع العلم أن المعنيين صحيحين، واللفظين متواتران مقروءٌ بهما، لكن ينبغي على قارئ القرآن ألا يخلط في الروايات؛ فقد انقسم القراء العشرة فيه إلى قسمين، فقرأه بالظاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس، بمعنى متهم، والباقون يقرؤونه بالضاد بمعنى بخيل [1].

4- قال تعالى: ﴿ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[2].

ضللت (بالضاد): من ضل بمعنى زلّ عن الشّيء ولم يهتدِ إليه، انحرف عن الطريق الصحيح[3].

بينما ظللت (بالظاء): فمن ظل بمعنى مكث، لبث، بقي، دام، استمر، ويقال: ظل واقفًا: لبث واقفًا وظل على حاله: عني بصحته، لم يشخ ويطعن في السن [4].

نلاحظ أنه عند إبدال الضاد ظاء يتغير المعنى من الإخبار بنتيجة عبادة غير الله والإشراك به، وهي الضلال والانحراف عن الطريق القويم وعدم الاهتداء إليه إلى الإخبار بنتيجة أخرى وهي المكوث والبقاء في الأرض، ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾[5].

---

(1) شرف، مصحف الصحابة (ص 586)

(2) [الأنعام:56].

(3) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج2/ 1367).

(4) دُوزِي، تكملة المعاجم العربية (ج7/ 121)

(5) [الأنعام:24]

5- قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [1].

عضين (بالضاد): من العضة، وهي القطعة من الشّيء، تقول العرب: عضّيت الشّيء، إذا وزّعته، وعضّيت الذّبيحة: إذا قطعتها أعضاء، والعضة: القطعة منها، والجمع: عضون. قال رؤبة[2]: وليس دين الله بالمعضّى، يعني: بالمفرّق [3].

أمّا عظين (بالظاء): فمن العظة، بمعنى ذكَّرَهُ مَا يُلَيِّنُ قَلْبَهُ من الثَّوابِ والعِقابِ، فاتَّعَظَ بِهِ. وَفِي الصَّحاح: الوَعْظُ: النُّصْحُ والتَّذْكِيرُ بالعَوَاقِبِ. [4]

نلاحظ أنّه عند إبدال الضاد ظاء يتغير المعنى من الإخبار عن الكفار حيث إنهم جعلوا القرآن فرقًا وأقسامًا، فقال قائل منهم: هو سحر، وقال آخرون: هو كهانة، وقال آخرون: هو شعر، وقال آخرون: هو أساطير الأوّلين، إلى الإخبار عن أن الكفار اتخذوا القرآن مواعظ وتذكير بالعواقب، وهذا معنىً خاطئ ومقلوب كما هو واضح.

6- قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴿١٥٩﴾﴾ [5].

انفضوا (بالضاد): مصدر فض الشيء فضًا: إذا كسره وفرقه، واسم الفاعل فاض والمفعول مفضوض. ومنه فض الختام للكتاب، وفضضت الجماعة: فرقتهم فانفضوا هم [6].

وأمّا انفظوا (بالظاء): فالفَظُّ من الرِّجَالِ: الغَلِيظُ، كَمَا فِي الصّحاح، وَفِي بَعْضِ نُسَخِه زِيَادَةُ: الجافِي، بَعْدَهُ. وَفِي العُبَاب: هُوَ الغَلِيظُ الجانِبِ السَّيِّئُ الخُلُقِ القَاسِي. وَقَالَ الحَرّانيّ: الفَظُّ: الخَشِنُ الكَلامِ. وقالَ اللَيْثُ: هُوَ الَّذِي فِي مَنْطِقِه غِلَظٌ وتَجَهُّم [7].

(1) [الحجر:91].
(2) رؤبة، ديوانه (ص81).
(3) انظر: الداني، الفرق بين الضاد والظاء فى كتاب الله عز وجل وفى المشهور من الكلام (ص42).
(4) الزَّبيدي، تاج العروس (ج289/20).
(5) [آل عمران:159].
(6) ابن مالك، الاعتماد في نظائر الظاء والضاد (ص41).
(7) الزَّبيدي، تاج العروس (ج250/20).

نلاحظ أنه عند إبدال الضاد ظاء يتغير المعنى من تحذير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تفرق الصحابة وانصرافهم عنه فيما لو كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غليظًا قاسيَ القلبِ معهم إلى التحذير من فظاظة وقسوة الصحابة إذا غلظ عليهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

7- قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾(1).

ناضرة (بالضاد): نضورًا ونضرة كَانَ ذَا رونق وبهجة يُقَال نضر النَّبَات ونضر الشّجر ونضر وَجهه ونضر لَونه فَهُوَ ناضر وَهِي ناضرة وَالشَّيْء حسنه ونعمه (2).

أمَّا ناظرة (بالظاء): من النَّظَر وهي: حِسُّ الْعَيْنِ، نَظَره يَنْظُره نَظَرًا ومَنْظَرًا ومَنْظَرة ونَظَر إليه. والمَنْظَر: مَصْدَرُ نَظَر. اللَّيْثُ: الْعَرَبُ تَقُولُ نَظَرَ يَنْظُر نَظَرًا (3).

هذه الآية تتحدث عن حال المؤمنين في الجنة، فعند إبدال الضاد ظاء يتغير المعنى من الإخبار عن إشراق وجمال وبهاء ونضرة وجوههم إلى الإخبار عن حاسة البصر والرؤية لهم.

8- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ ﴾ (4).

عضُّوا (بالضاد): العض هو الإمساك على الشيء بالأسنان. ثم يقاس منه كل ما أشبهه، حتى يسمى الشيء الشديد والصلب والداهي بذلك (5).

بينما عظُّوا (بالظاء): العظ هو الشِّدَّةُ فِي الْحَرْبِ، وَقَدْ عَظَّتْه الحَرب بِمَعْنَى عَضَّته، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: العَظُّ مِنَ الشِّدَّةِ فِي الْحَرْبِ كأَنه مِنْ عَضّ الْحَرْبِ إيّاه، وَلَكِنْ يُفْرق بَيْنَهُمَا كَمَا يُفَرَّقُ بَيْنَ الدَّعْثِ والدَّعْظِ لِاخْتِلَافِ الوَضْعَيْن (6).

---

(1) [القيامة:22].
(2) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج2/ 928).
(3) ابن منظور، لسان العرب (ج215/5).
(4) [آل عمران:119].
(5) الرازي، مقاييس اللغة (ج4/ 48).
(6) ابن منظور، لسان العرب (ج447/7).

كما تستخدم عظ مع الزمان لبيان شدته، يقال: عظهم الزمان: إذا اشتد عليهم وأثر فيهم، قال الفرزدق:

وعظ زمان يا بن مروان لم يدع * من المال إلا مسحتًا أو مجلفُ (1).**

بمعنى أن كلمة عض أعم من عظ التي درج استخدامها مع الحرب والزمان، قال ابن السيد في كتاب الفرق: العض والعظ شدة الزمان وشدة الحرب، ولا نستعمل الظاء في غيرها (2).

في هذه الآية الكريمة أخبر الله -عز وجل-عن الكافرين أنهم لشدة إبغاضهم المؤمنين يأكلون أيديهم غيظًا، عض فلان يده غيظًا، إذا بالغ في عداوته (3).

والآية السابقة تحدثت عن الأنامل التي يناسبها فعل العض وليس العظ كما وضحنا، ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة الفرقان ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾ (4).

9- قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم ﴿٢٣٢﴾ ﴾ (5).

تعضلوهن (بالضاد): أصلُ العَضْلِ: المَنْعُ والشِّدّة. وأَعْضَلَه الأمرُ: غَلَبَه. عَضَلَ المرأةَ يَعْضِلُها (6).

بينما تعظلوهن (بالظاء): فمن العِظَالُ: وهو المُلازَمة فِي السِّفَاد مِنَ الكِلابِ والسِّباعِ والجَراد وغيرِ ذَلِكَ مِمَّا يتَلازَمُ فِي السِّفَاد ويُنْشِبُ؛ وعَظَلَتْ وعَظَّلَتْ: رَكِبَ بعضُها بَعْضًا. وعَاظَلَها فعَظَلَها يَعْظُلُها، وعاظَلَتِ الكِلابُ مُعاظَلَةً وعِظَالًا وتَعَاظَلَتْ: لَزِمَ بعضُها بَعْضًا فِي السِّفَاد (7).

---

(1) ابن مالك، الاعتماد في نظائر الظاء والضاد (ص37).

(2) رضا، معجم متن اللغة (ج4/ 141).

(3) الهروي، الغريبين في القرآن والحديث (4/ 1291).

(4) [الأنعام:24].

(5) [البقرة:232].

(6) الزَّبيدي، تاج العروس (ج1/30).

(7) ابن منظور، لسان العرب (ج456/11).

في هذه الآية الكريمة ينهى الله أولياء المرأة المطلقة عن منعها من العودة إلى زوجها في حال انتهاء العدة إذا كانت الطلقة دون الثلاث، ومع إبدال الضاد ظاءً يفسد المعنى كما هو مُلاحظ، ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة النساء ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ (1).

10- قال تعالى: ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ (2).

تفيض (بالضاد): فاضَ الماءُ والدَّمْعُ والمَطَرُ والخَيْرُ، يفيض فَيْضًا أي: كَثُرَ. وفاضَتْ عينه، تفيض فَيْضًا أي: سالت. وأفاضَ دمعَه يُفيضه إفاضةً. وأفاضَ البعيرُ جِرَّتَه إفاضةً أي دُفعةً. وفاضَ صدرُ فلانٍ بِسرِّهِ اذا امتَلأَ فأظهَرَه. والحَوْضُ فائِضٌ أي مُمْتَلِيءٌ فَيْضًا وفَيْضُوضةَ.(3)

بينما تفيظ (بالظاء): فاظَ الرجلُ يَفيظُ فَيْظًا وفُيوظًا وفَيَظانًا، إذا مات. وربَّما قالوا: فاظ يفوظ فوظًا وفواظًا. قال رؤبة:

لا يدفنون منهم من فاظا * إن مات في مصيفه أوقاظا**

أي من كثرة القتلى. وكذلك فاظت نفسه أي خرجت روحه. (4).

في هذه الآية الكريمة يتحدث الله – عزوجل–عن حال طائفة من المؤمنين لم يجد النبي (ﷺ) ما يركبون عليه من الدواب، فما كان منهم إلا أن سالت دموعهم حزنًا وأسفًا على ما فاتهم من شرف الجهاد وثوابه، ومع إبدال الضاد ظاءً يصبح المعنى أن أعينهم ماتت وفقدوها من شدة الحزن وهذا معنىً مغاير، ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ (5).

---

(1) [النساء:19].

(2) [التوبة:92].

(3) الفراهيدي، العين (ج7/ 65).

(4) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ج3/ 1176).

(5) [المائدة:83].

ونستنبط من هذه الأمثلة القرآنية أنه لا يجوز إبدال الضاد ظاءً عند تلاوة القرآن الكريم؛ لأن هذا يؤدي إلى تغيير المعنى في كثير من الحالات كما تَبيّنَ لنا من خلال مدارسة الأمثلة السابقة، وقد شدّد الفقهاء على تحقيق الضاد بمخرجها وصفاتها في سورة الفاتحة، بل إنّ بعضهم اعتبر أنّ إبدال الضاد ظاءً في قوله تعالى: ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [1] مبطلًا للصلاة؛ على اعتبار أنّ الفاتحةَ ركنٌ من أركان الصلاة يجب الإتيان بها على أكمل وجه [2].

وقبل الختام، كان لا بد لي من ذكر ملاحظتين هامتين تفيد قراء القرآن الكريم في هذا الموضوع، وهاتان الملاحظتان ينتج عنهما إدغام الضاد في غير موضعها، ويكثر وقوع هذا الإدغام عند كثير من القراء؛ ولذا وجب التنويه عليها:

الملاحظة الأولى: إذا أتى بعد صوت الضاد الساكنة حرف الطاء فإنه يكثر إبدال الضاد طاءً، وإدغامها في الطاء المجاورة لها، ولذلك وجب إظهار الضاد جيدًا وتخليصها؛ لئلا يسبق اللسان إلى ما هو أخف وهو الإدغام نحو (ثُمَّ أَضْطَرُّهُ) [3]،(فَمَنِ اضْطُرّ) [4]، (إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ) [5]، ويسهل الإدغام بين الحرفين لاجتماعهما في الصفات والقوة وأكد ذلك عبد الوهاب القرطبي بقوله (الضاد إذا سكنت وكان بعدها طاء فأحسن تخليص الضاد منها بالإظهار وحاذر سبق التشديد إليها فيذهب التفشي وتصير طاء وذلك لاجتماعهما في الإطباق في مثل قوله تعالى (فَمَنِ اضْطُرّ) [6] (إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ) [7] لئلا تصير: اطُّرَّ واطُّررتم.....) [8]

الملاحظة الثانية: إذا أتى بعد صوت الضاد الساكنة حرف التاء فإنه يسهل إبدال الضاد تاءً، وإدغامها في التاء المجاورة لها، فيجب الانتباه لذلك وتحقيق صوت الضاد لئلا تدغم في التاء؛

---

(1) [الفاتحة: 7].
(2) انظر: النووي، المجموع شرح المهذب (ج3/ 392).
(3) [البقرة: 126].
(4) [البقرة: 173].
(5) [الأنعام: 119].
(6) [المائدة: 3].
(7) [الأنعام: 119].
(8) عبد الوهاب القرطبي، الموضح (ص 162).

وذلك لشدة التاء نحو (عَرَّضْتُمْ بِهِ) [1]، (فَرَضْتُمْ) [2]، (وَأَقْرَضْتُمُ) [3]، (فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ) [4]، (أَعْرَضْتُمْ) [5]، (فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ) [6]، (وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنّ) [7]، (وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا)[8]، (وَخُضْتُمْ كَالَّذِي)[9]، (أَعْرَضْتُمْ)[10]، (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ) [11]، (فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [12]، (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)[13].

(1) [البقرة: 235].

(2) [البقرة: 237].

(3) [المائدة: 12].

(4) [البقرة: 198].

(5) [الإسراء: 67].

(6) [البقرة: 235].

(7) [البقرة: 237].

(8) [المائدة: 12].

(9) [التوبة: 69].

(10) [الإسراء: 67].

(11) [طه: 96].

(12) [النور: 14].

(13) [الشعراء:80].

المبحث الثاني

تطبيقات على الحديث الشريف

نتناول في هذا المبحث الجانب التطبيقي الثاني لهذا الفصل، وهو الحديث الشريف، كلام النبيّ (ﷺ)، الذي يعد باتفاق العلماء المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم؛ ولذلك اهتم علماء المسلمين به، فأُفردَ له علمٌ خاصٌ لتصحيحه وتنقيحه وتخليصه من الأخطاء وهو علم الجرح والتعديل، وهيّأ الله لهذا العلم علماء أفنوا حياتهم للدفاع عن كلام نبيهم (ﷺ)، ونحن هنا بصدد توضيح قضية يستهين بها البعض، وهي قضية إبدال الضاد ظاءً في الحديث الشريف، لما لها أثر كبير في تغيير معنى الحديث الشريف، وما يترتب على ذلك من خللٍ في فهم كلام النبي(ﷺ)، وتغيّرِ الحكم الشرعي في كثير من المسائل، وقد اخترت بعضًا عشرة أحاديث حوت في طيّاتها كلماتٍ تعتبر الضاد أصلًا فيها، ثم قمت بتغيير الضاد إلى ظاء، وكانت نتيجة ذلك أن حدث خلل في معنى الحديث، وإليكم الأحاديث:

1- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ" (1).

ضَرَبَ (بالضاد): الضَّادُ وَالرَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، ثُمَّ يُسْتَعَارُ وَيُحْمَلُ عَلَيْهِ. من ذَلِكَ ضَرَبْتُ ضَرْبًا، إِذَا أَوْقَعْتَ بِغَيْرِكَ ضَرْبًا. وَيُسْتَعَارُ مِنْهُ وَيُشَبَّهُ بِهِ الضَّرْبُ فِي الْأَرْضِ تِجَارَةً وَغَيْرَهَا مِنَ السَّفَرِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ}(2). (3)

بينما ظَرَبَ (بالظاء): الظَّاءُ وَالرَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ ثَابِتٍ أَوْ غَيْرِ ثَابِتٍ مَعَ حِدَّةٍ. مِنْ ذَلِكَ الظِّرَابُ، وَهُوَ جَمْعُ ظَرِبٍ، وَهُوَ النَّابِتُ مِنَ الْحِجَارَةِ مَعَ حِدَّةٍ فِي طَرَفِهِ. وَيُقَالُ: إِنَّ الْأَظْرَابَ أَسْنَاخُ الْأَسْنَانِ. وَيُقَالُ: بَلْ هِيَ الْأَرْبَعَةُ خَلْفَ النَّوَاجِذِ. (4)

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الجنائز/ليس منا من ضرب الخدود، 82/2: رقم الحديث 1297].

(2) [النساء:101].

(3) الرازي، مقاييس اللغة (ج3/ 475).

(4) المرجع السابق، (ج3/ 397).

وهذا الحديث فيه نهي عن اللطم وضرب الخدود عند موت إنسان حبيب أو قريب؛ لأن هذا من عادات الجاهلية التي حاربها الإسلام، ولما فيها اعتراض على قضاء الله وحكمه، وعند إبدال الضاد ظاء لا يستقيم المعنى فالضرب يختلف عن الظرب.

2- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ "(1).

ضرر (بالضاد): أَي لَا يَضُرّ الرَّجُلُ أَخاه فَيَنْقُصه شَيْئًا مِنْ حَقِّهِ، والضِّرارُ فِعَالٌ مِنَ الضُّرِّ، أَي لَا يُجَازِيهِ على إِضراره بإِدخال الضَّرَر عَلَيْهِ؛ والضَّرَر فِعْلُ الْوَاحِدِ، والضِّرَارُ فِعْلُ الِاثْنَيْنِ، والضَّرَر ابْتِدَاءُ الْفِعْلِ، والضِّرَار الْجَزَاءُ عَلَيْهِ؛ وَقِيلَ: الضَّرَر مَا تَضُرّ بِه صَاحِبَكَ وَتَنْتَفِعُ أَنت بِهِ، والضِّرار أَن تَضُره مِنْ غَيْرِ أَن تَنْتَفِعَ، وَقِيلَ: هُمَا بِمَعْنًى وَتَكْرَارُهُمَا للتأْكيد. (2)

ظرر (بالظاء): "قَالَ الأَصمعي: الظِّرَارُ وَاحِدُهَا ظُرَرٌ، وَهُوَ حَجَرٌ مُحَدَّدٌ صُلْب، وجمعُه ظِرَارٌ، مِثْلُ رُطَب ورِطَابٍ، وظِرَّانٌ مِثْلُ صُرَدٍ وصِرْدان؛ قَالَ لَبِيدٌ:

بجَسْرةٍ تَنْجُل الظِّرَّانَ ناجِيةً ... إِذا تَوقَّدَ فِي الدَّيْموسةِ الظُّرَرُ

وَفِي حَديث عَدِيّ أَيضًا: لَا سكِّينَ إِلَّا الظِّرَّانُ، وَيُجْمَعُ أَيضًا عَلَى أَظِرَّة؛ وَمِنْهُ:

فأَخذت ظُرَرًا مِنَ الأَظِرَّة فذَبَحْتُها بِهِ." (3)

في الحديث السابق نهي عن إيقاع الضرر والمشقة في الآخرين، وهذا الحديث أصلٌ في الإسلام تندرج تحته مقاصد الدين الإسلامي، وعند إبدال الضاد ظاء يتغير المعنى إلى النهي عن استخدام الحجر المحدد الصلب.

(1) [ابن حنبل: مسند أحمد، 55/5: رقم الحديث 2865].

(2) ابن منظور، لسان العرب (ج4/482).

(3) المرجع السابق (ج4/ 517).

3- عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: "مَنْ ضَفَّرَ فَلْيَحْلِقْ، وَلاَ تَشَبَّهُوا بِالتَّلْبِيدِ"(1).

ضفرَ (بالضاد): هُوَ ضَمُّ الشَّيْءِ إِلَى الشَّيْءِ نَسْجًا أَوْ غَيْرَهُ عَرِيضًا. وَمِنَ الْبَابِ ضَفَائِرُ الشَّعَرِ، وَهِيَ كُلُّ شَعَرٍ ضُفِّرَ حَتَّى يَصِيرَ ذُؤَابَةً. وَمِنَ الْبَابِ قَوْلُهُمْ: تَضَافَرُوا عَلَيْهِ، أَيْ تَعَاوَنُوا. وَأَصْلُهُ عِنْدِي مِنْ ضَفَائِرَ الشَّعَرِ، وَهُوَ أَنْ يَتَقَارَبُوا حَتَّى كَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَدْ شَدَّ ضَفِيرَتَهُ بِضَفِيرَةِ الْآخَرِ.(2)

ظفرَ (بالظاء): الظَّاءُ وَالْفَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى الْقَهْرِ وَالْفَوْزِ وَالْغَلَبَةِ، وَالْآخَرُ عَلَى قُوَّةٍ فِي الشَّيْءِ. (3)

في هذا الحديث المرفوع دعوة من النبي (ﷺ) إلى أصحابه لحلق الشعر عندما يكون الشعر على شكل ضفائر وذؤابات، وذلك في الحج، بينما عند إبدال الضاد ظاء يصبح الأمر موجه للمنتصرين ليحلقوا رؤوسهم، وبالتالي يختلف المعنى ويتحول لمعنى آخر خاطئ وغير مقصود.

4- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ سَنَّ سُنَّةَ ضَلَالٍ فَاتُّبِعَ عَلَيْهَا، كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ أَوْزَارِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةَ هُدًى فَاتُّبِعَ عَلَيْهَا، كَانَ لَهُ مِثْلُ أُجُورِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ "(4).

ضَلال (بالضاد): الضَّادُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ ضَيَاعُ الشَّيْءِ وَذَهَابُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ. يُقَالُ: ضَلَّ يَضِلُّ وَيَضَلُّ، لُغَتَانِ. وَكُلُّ جَائِرٍ عَنِ الْقَصْدِ ضَالٌّ. وَالضَّلَالُ وَالضَّلَالَةُ بِمَعْنًى. وَرَجُلٌ ضِلِّيلٌ وَمُضَلَّلٌ، إِذَا كَانَ صَاحِبَ ضَلَالٍ وَبَاطِلٍ. وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَصْلَ الضَّلَالِ مَا ذَكَرْنَاهُ قَوْلُهُمْ أُضِلَّ الْمَيِّتُ، إِذَا دُفِنَ. وَذَاكَ كَأَنَّهُ شَيْءٌ قَدْ ضَاعَ. وَيَقُولُونَ: ضَلَّ اللَّبَنُ فِي الْمَاءِ، ثُمَّ يَقُولُونَ اسْتُهْلِكَ. (5)

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، اللباس/التلبيد، 162/7: رقم الحديث 1297].

(2) الرازي، مقاييس اللغة (ج3/ 366).

(3) المرجع السابق، (ج3/ 465).

(4) [ابن حنبل: مسند أحمد، 326/16: رقم الحديث 10556].

(5) الرازي، مقاييس اللغة (ج3/ 356).

ظَلال (بالظاء): الظَّاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى سَتْرِ شَيْءٍ لِشَيْءٍ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى الظِّلَّ. وَ كَلِمَاتُ الْبَابِ عَائِدَةٌ إِلَيْهِ. فَالظِّلُّ: ظِلُّ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ، وَيَكُونُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، وَالْفَيْءُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْعَشِيِّ. وَتَقُولُ: أَظَلَّتْنِي الشَّجَرَةُ. وَظِلٌّ ظَلِيلٌ: دَائِمٌ . وَاللَّيْلُ ظِلٌّ. قَالَ ذو الرمة:

قَدْ أَعْسِفُ النَّازِحَ الْمَجْهُولَ مَعْسِفُهُ * فِي ظِلِّ أَخْضَرَ يَدْعُو هَامَهُ الْبُومُ**(1)

في هذا الحديث يحذر النبي (ﷺ) من ابتداع سنة ضلال التي هي ضد الهدى، بحيث إن هذا المبتدع سيتحمل وزر وإثم كل من يتبعه في هذه السنة الباطلة، ولكن إذا أبدلنا الضاد ظاءً سيختل المعنى ويختلف عن سابقه.

5- عَنْ عَاصِمٍ قَالَ: " رَأَيْتُ عِنْدَ أَنَسٍ قَدَحَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ ضَبَّةٌ مِنْ فِضَّةٍ"(2)

والضَّبَّةُ (بالضاد): حديدةٌ عَريضةٌ يُضَبَّبُ بها البابُ والخَشَبُ والجمع ضِبابٌ قال أَبو منصور يقال لها الضَّبَّةُ والكَتيفةُ لأَنها عَريضَة كهيئة خَلْقِ الضَّبِّ وسميت كَتيفة لأَنها عُرّضَتْ على هيئة الكَتِفِ وضَبَّ الشيءُ ضَبًّا سالَ كَبَضَّ وضَبَّتْ شَفَتُه تَضِبُّ ضَبًّا وضُبوبًا سالَ منها الدمُ وانحلَبَ رِيقُها وقيل الضَّبُّ دون السَّيلانِ الشديد وضَبَّتْ لثته تَضِبُّ ضَبًّا انْحَلَبَ"(3)

بينما الظبة (بالظاء): هو طرف السيف قال ابْنُ الأَثير فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ: فَوَضَعْتُ ظَبِيبَ السَّيْفِ فِي بَطْنِه؛ قَالَ: قَالَ الحَرْبِيُّ هَكَذَا رُوِي وإنما هُوَ ظُبَةُ السَّيْفِ، وَهُوَ طَرَفُه، ويُجْمع عَلَى الظُّباةِ والظُّبِينَ. (4)

في هذا الحديث يخبر عاصم أنه رأى عند أنس خادم النبي إناءً مضبوبًا -أي ملحوم بالمعنى المعاصر-بالفضة، وجاء في رواية أن هذا القدح كَانَ قد انصدع فسلسله من فضَّة (5)، والضبة تستخدم لتضبيب ما ينكسر من الأشياء، ولكن إذا أبدلنا الضاد ظاءً سيصبح معنى الحديث أن عاصم أخبر برؤية قدح النبي، وفي داخله طرف سيف مصنوع من فضة، وبالتالي سيتغير المعنى.

(1) الرازي، مقاييس اللغة (ج3/ 461).

(2) [ابن حنبل: مسند أحمد، 403/19: رقم الحديث 12410]. حديث صحيح، عاصم: هو ابن سليمان الأحول.

(3) ابن منظور، لسان العرب (ج541/1).

(4) المرجع السابق (ج1/ 568).

(5) انظر: العينى، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (ج21/ 204).

6- عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ-رضي الله عنه -أنهَ قال: "نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَيْعِ ضِرَابِ الْجَمَلِ، وَعَنْ بَيْعِ الْمَاءِ وَالْأَرْضِ لِتُحْرَثَ"(1)

ضراب (بالضاد): ضراب الْجمل: أَي أَخذ الْأُجْرَة على مائه. (2)

بينما ظراب (بالظاء): الرَّوابي الصِّغارُ، وَاحِدُهَا ظَرِبٌ، بِوَزْنِ كَتِفٍ، وَقَدْ يُجْمَعَ، فِي الْقِلَّةِ، عَلَى أَظْرُبٍ. وَفِي حَدِيثِ أَبي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَيْنَ أَهْلُكَ يَا مَسْعُودُ؟ فَقَالَ: بِهَذِهِ الأَظْرُبِ السَّوَاقِطِ"(3).

وفي هذا الحديث نهي عن أخذ أجرة على ماء الجمل الفحل (4)، ولكن إذا أبدلنا الضاد ظاءً سيتحول النهي إلى بيع المنطقة المنبسطة التي يرعى فيها الجمل، وهذا معنىً فاسد.

7- عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَعْنِي عَنْ رَبِّهِ - قَالَ: "إِذَا سَلَبْتُ مِنْ عَبْدِي كَرِيمَتَيْهِ وَهُوَ بِهِمَا ضَنِينٌ، لَمْ أَرْضَ لَهُ ثَوَابًا دُونَ الْجَنَّةِ إِذَا حَمِدَنِي عَلَيْهِمَا"(5)

مر معنا في شرح المعنى في آية (وما هو على الغيب بضنين) الفرق بين ضنين وظنين، حيث إن معنى ضنين (بالضاد): بخيل، بينما معنى ظنين (بالظاء): متَّهم، وكلمة (بخيل) في هذا الحديث هي قيد واقعي فإن كل أحد بهما ضنين (6). ففي هذا الحديث يبشر رسول الله (ﷺ) الأكفَّاء بالجنة في حال صبرهم على هذا البلاء، ولكن إذا أبدلنا الضاد ظاءً يختل المعنى، وتتحول البشرى إلى المتهم بعينيه الفاقد لهما، وهذا معنى باطل.

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الْمُسَاقَاةِ /تَحْرِيمِ بَيْعِ فَضْلِ الْمَاءِ الَّذِي يَكُونُ بِالْفَلَاةِ وَيُحْتَاجُ إِلَيْهِ لِرَعْيِ الْكَلَأِ، 1197/3: رقم الحديث 1565]. حديثٌ صحيح، صححه الألباني.

(2) ابن حجر، فتح الباري (ج1/ 147).

(3) ابن منظور، لسان العرب (ج1/569).

(4) انظر: ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح (15/ 100).

(5) [ابن حبان: صحيح ابن حبان، الجنائز /ذكر رجاء دخول الجنة لمن حمد الله على سلب كريمتيه، 194/7: رقم الحديث 2931].

(6) انظر: الصنعاني، التنوير شرح الجامع الصغير (ج8/ 15).

8- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى عَضَلَةِ سَاقَيْهِ، ثُمَّ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، ثُمَّ إِلَى كَعْبَيْهِ، فَمَا كَانَ أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ فِي النَّارِ "[1].

العضلة (بالضاد): قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: كُلُّ لَحْمَةٍ صُلْبَةٍ فِي عَصَبَةٍ فَهِيَ عَضَلَةٌ. يُقَالُ: عَضِلَ الرَّجُلُ يَعْضَلُ عَضَلًا. وَمِنَ الْبَابِ: هُوَ عُضْلَةٌ مِنَ الْعُضَلِ، أَيْ مُنْكَرٌ دَاهِيَةٌ. وَهُوَ مِنَ الْقِيَاسِ، كَأَنَّهُ وُصِفَ بِالشِّدَّةِ. وَالْعَضَلُ مِنَ الرِّجَالِ: الْقَوِيُّ. وَمِنَ الْبَابِ: الدَّاءُ الْعُضَالُ، الْأَمْرُ الْمُعْضِلُ، وَهُوَ الشَّدِيدُ الَّذِي يُعْيِي إِصْلَاحُهُ وَتَدَارُكُهُ. [2]

عظَلَةَ (بالظاء): الْعَيْنُ وَالظَّاءُ وَاللَّامُ أُصَيْلٌ صَحِيحٌ. يُقَالُ: تَعَاظَلَ الْكِلَابُ، إِذَا تَسَافَدَتْ، وَهِيَ تَعَاظَلُ. وَجَرَادٌ عَظْلَى مِنْ ذَلِكَ وَفُلَانٌ لَا يُعَاظِلُ فِي شِعْرِهِ بَيْنَ الْقَوَافِي، أَيْ لَا يَجْعَلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ. وَتَرَى أَنَّ ذَلِكَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ الَّذِي يُسَمَّى الْإِيطَاءُ ؛ أَيْ لَا يُكَرِّرُ الْقَوَافِي، أَوْ أَنْ يَكُونَ الَّذِي يُسَمَّى التَّضْمِينُ، وَهُوَ أَنَّ [يَكُونُ] تَمَامُ الْبَيْتِ فِي الْبَيْتِ الَّذِي بَعْدَهُ. [3]

هذا الحديث يحدد المواضع الثلاثة الجائزة في حد الإزار، وأعلى هذه المواضع عضلة الساق، وهي فوق النصف بقليل، وجاء تعدد المواضع للتَوْسِعَةِ على الأُمَّةِ، ونلاحظ أنه عند إبدال الضاد ظاء يختل المعنى ولا يدل على دلالته الصحيحة.

9- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ يَبِيعُ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَلاَ يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ، وَلاَ تَسْأَلُ المَرْأَةُ طَلاَقَ أُخْتِهَا لِتَكْفَأَ مَا فِي إِنَائِهَا"[4]

فأمّا الحاضر (بالضاد): فاسم فاعل من حضر يحضر فهو حاضر، وهو الشاهد المقيم ضد الغائب. وطعام محضور أي مشهود، ومنه الحاضر خلاف البادي لأنه يقيم في الحاضرة، وهي المدن والقرى [5].

---

(1) [ابن حنبل: مسند أحمد، 247/13: رقم الحديث 7857].

(2) الرازي، مقاييس اللغة (ج4/ 345).

(3) المرجع السابق، (ج4/ 356).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، البيوع/ لاَ يَبِيعُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ ، 69/3: رقم الحديث 2140].

(5) ابن مالك، الاعتماد في نظائر الظاء والضاد (ص23).

وأمًا الحاظر (بالظاء): فاسم فاعل من حظرت الشيء حظرًا إذا منعته، وهو ضد الإباحة، والمفعول محظور. وكل شيء منع شيئًا فقد حظره، قال الله جل ثناؤه: "وما كان عطاء ربك محظورًا" أي ممنوعا. والحظار: الحاجز بين الشيئين، بالكسر. (1)

في هذا الحديث ينهى النبي (ﷺ) الحاضر المقيم أن يبيع للبادي الغريب لعدة أسباب ووجوه ذكرها الفقهاء في كتبهم(2)، وعند إبدال الضاد ظاء يختل المعنى وتتغير الدلالة ويتجه النهي حينها إلى الحاظر بمعنى المانع.

10- عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كل قرض صدقة "(3)

قرض (بالضاد): القَرْضُ: مصدر قرض الشيء يقرضه "بكسر الراء": إذا قطعه، والقرض: اسم مصدر بمعنى الإقراض. وقال الجوهري: القرض ما تعطيه من المال لتقضاه. والقرض "بالكسر": لغة فيه حكاها الكسائي. وقال الواحدي: القرض: اسم لكل ما يلتمس منه الجزاء، يقال: أقرض فلان فلانًا: إذا أعطاه ما يتجازاه منه والاسم منه: القرض، وهو: ما أعطيته لتكافأ عليه، هذا إجماع من أهل اللغة(4).

قرظ (بالظاء): القرظ، محركة: ورق السَّلَمِ يُدبغ به، كما في الصحاح، وهو قول الليث، أو ثمر السَّنْطِ، ويعتصر منه الأقاقيا. وقال أبو حنيفة: القرظ: أجود ما تدبغ به الأهب في أرض العرب، وهي تدبغ بورقه وثمره. وقال مرة: القرظ: شجر عظام، لها سوق غلاظ أمثال شجر الجوز، وورقه أصغر من ورق التفاح، وله حب يوضع في الموازين، وهو ينبت في القيعان، واحدته قرظة(5).

---

(1) ابن مالك، الاعتماد في نظائر الظاء والضاد (ص24).

(2) انظر: الخطابي، معالم السنن (ج3/ 110)، النووي، شرح النووي على مسلم (ج10/ 164).

(3) [الطبراني: المعجم الصغير، 246/1: رقم الحديث 402]، و"الأوسط" (17/4) ، وهو عند ابن عدي في "الكامل" (143/2).

(4) شمس الدين، المطلع على ألفاظ المقنع (ص 295).

(5) الزَّبيدي، تاج العروس (ج256/20).

وهذا الحديث الشريف يرشد إلى أن كل قرض يقرضه الإنسانُ غيرَه من ماله، صدقة للمقرِضِ، يُكتَبُ له أجر الصدقة، بل جاء أنه أفضل من الصدقة وذلك لما فيه من تفريج كربة وقضاء حاجة [1]، وعند إبدال الضاد ظاء يصبح المعنى أن كل شجرة او ورقة قرظ صدقة وهو معنى باطل.

مما تقدم يتبين لنا مدى تأثير إبدال الضاد ظاءً على مدلول الحديث الشريف، وما يتبع ذلك من تغير وبطلان للأحكام الشرعية المبنية على هذه الأحاديث النبوية، وهذا يؤكد ضرورة الحفاظ على نطق صوت الضاد في مواضعها، حتى يستقيم المعنى ويصل المراد إلى الأفهام.

---

(1) الصنعاني، التنوير شرح الجامع الصغير (ج8/ 191).

المبحث الثالث

تطبيقات على الشعر العربي

يعدُّ الشعر ديوان العرب فيه تاريخهم وحضارتهم وثقافتهم، بل ويعدُّ أحد أهم مصادر الاستشهاد في النحو العربي، حيث لا تكاد توجد قاعدة نحوية إلا واستندت على بيت أو أكثر من الشعر العربي، ولذلك اهتم علماء العربية بتدوينه وتنقيحه وتخليصه من الشوائب والأغاليط وصنفوا مصنفاتٍ خاصة له، وكما أنَّ للحديث الشريف علمٌ يهتم بتصحيحه وهو علم الجرح والتعديل، كذلك يوجد للشعر علم يهتم بتجويده وتصحيحه وهو علم النقد الأدبي، وصوت الضاد كما علمنا أحد أصوات العربية المستقلة المتميزة التي لها أبنيتها الخاصة، والخلط بينه وبين غيرِه من الأصوات يؤدي إلى تغيير المعنى كما رأينا في القرآن الكريم والحديث الشريف، واستكمالًا لهذا البحث كان لا بد من إيراد بعض الأمثلة التطبيقية على الشعر العربي نتناولها فيما يلي:

1- يقول حُمَيْد بن ثور الهلالي:

أَبَى الله إلاَّ أنَّ سرْحةَ مالِكٍ * على كلِّ أَفْنانِ العِضاة تروقُ** (1)

العضاة (بالضاد): كلُّ شجرٍ لَهُ شوك. قَالَ: ومِن أعرفِ ذَلِك الطَّلح، والسَّلَم، والعُرفُط. (2)

أمّا العظات (بالظاء): جمع عظة وهي نُصح وإرشاد وتذكير بالواجبات ودعوة إلى السِّيرة الصَّالحة "أبلغ العظات النَّظر إلى محلِّ الأموات". (3)

ويروى عن هذا البيت أن عمر بن الخطاب كان قد نهى الشعراء أن يذكروا النساء في أشعارهم، فذكر الشاعر السرحة، وكنى بها عن صاحبته. والسرحة: شجرة تطول في السماء، وجمعها سرح، وظلها بارد في الحرّ. والعضاة: كل شجر من أشجار البرّ له شوك. وتروق: تفضل. (4)

فالشاعر هنا يفضل محبوبته على كل النساء مستخدمًا أسلوب الكناية.

نلاحظ أنه عند إبدال الضاد ظاء يختل معنى البيت ويلتبس على سامعيه بحيث يصبح

---

(1) البُونَسي، كنز الكتاب ومنتخب الأدب (ج1/ 395).

(2) الأزهري، تهذيب اللغة (ج1/ 95).

(3) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج3/ 2468).

(4) شُرَّاب، شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية (2/ 168).

تفضيل الشاعر للسرحة على أغصان المواعظ وليس أغصان الأشجار.

2- قال جرير:

من كل جرشعة الهواجر زادها * بعد المفاوز جرأةً وضريرًا** [1]

ضرير(بالضاد): جاء في لسان العرب: وإِنه لَذُو ضَرِيرٍ عَلَى الشَّيْءِ إِذا كَانَ ذَا صبْر عَلَيْهِ ومُقاساة لَهُ[2]

بينما ظَّرِيرُ(بالظاء): نَعْتُ الْمَكَانِ الحَزْن. والظَّرِيرُ: الْمَكَانُ الْكَثِيرُ الْحِجَارَةِ، وَالْجَمْعُ كَالْجَمْعِ. والظَّرِيرُ: العلَمُ الَّذِي يُهْتدَى بِهِ، وَالْجَمْعُ أَظِرَّةٌ وظُرَّانٌ، مِثْلُ أَرْغْفِة ورُغْفانٍ. [3]

فالمعنى الذي أراده الشاعر: من كلِّ جُرشُعَة أي من كلِّ ناقةٍ ضخمةٍ واسعةِ الجوفِ قَوِيَّةٍ فِي الهواجِرِ لها عليها جُرأَةٌ وصبرٌ [4]، ونلاحظ اختلال المعنى عند إبدال الضاد ظاءً.

3- قال شماس بن أوس الطهوي:

فإلا تصل رحم ابن عمرو بن مرثدٍ * يعلمك وصل الرحم عضبٌ مجرب** [5]

عضب (بالضاد): العَضْبُ: الْقَطْعُ. عَضَبَه يَعْضِبُه عَضْبًا: قَطَعه، وَتَدْعُو العربُ عَلَى الرَّجُلِ فَتَقُولُ: مَا لَهُ عَضَبَه اللهُ؟ يَدْعونَ عَلَيْهِ بقَطْعِ يَدِهِ وَرِجْلِهِ. والعَضْبُ: السيفُ الْقَاطِعُ. وسَيْفٌ عَضْبٌ: قَاطِعٌ، وُصِف بِالْمَصْدَرِ [6].

عظب (بالظاء): عَظَب الطَّائِرُ يَعْظِب عَظْبًا، أَهملَه الجَوْهَرِيّ. وَقَالَ اللَّيْث: أَي حَرَّكَ زِمِكَّاه، بكَسْرِ الزَّاي والمِيم وفَتْح الكَافِ المُشَدَّدَةِ مَقْصُورًا، أَصْل الذَّنبِ، بِسُرْعَة [7].

جاء في شرح هذا البيت: إن لم تصل رحمك مختارًا له، ومعفيًا أثر العقوق به، ومزيلًا عن

---

(1) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ج2/ 720).
(2) ابن منظور، لسان العرب (ج4/488).
(3) المرجع السابق، (ج4/ 517).
(4) المرجع نفسه، (ج4/ 488).
(5) التبريزي، شرح ديوان الحماسة (ص363).
(6) ابن منظور، لسان العرب (ج1/609).
(7) الزَّبيدي، تاج العروس (ج3/394).

نفسك سمة الجاهل الذي يدخل فيما لا يمكنه الخروج منه، والآكل ما لا يقدر على استمرائه، علمك صلة الرحم والخروج من الحقوق، سيفٌ قاطعٌ لا يبقي عليك ولا يالو تأديبك [1]، وعند إبدال الضاد ظاءً يتغير المعنى كما هو واضح.

4- قال الشاعر:

إلى ظُعُنٍ يَقْرِضْنَ أَجْوازَ مُشْرِفٍ * شِمالًا وعن أَيمانِهنَّ الفوارسُ [2]**

يقرضن (بالضاد): تقول: قَرَضْتُه يمنةً ويسرةً، إذا عدلت عن شيء في سيرك، أي تركته عن اليمين وعن الشمال [3]، قَالَ الْفَرَّاءُ: الْعَرَبُ تَقُولُ قرضْتُه ذاتَ اليمينِ وقرَضْتُه ذاتَ الشِّمالِ وقُبُلًا ودُبُرًا أَي كُنْتُ بحِذائِه مِنْ كلِّ نَاحِيَةٍ، وقرَضْت مِثْلُ: حَذَوْت سَوَاءٌ [4].

يقرظن (بالظاء): قرظ: القَرَظُ: ورق السلم، يدبغ به الأدم، وتقول: قَرَظْتُه أقرِظه قَرْظًا. والقارِظُ: جامعه. وفي المثل: حتى يؤوب العنزي القارظُ لأنه ذهب يقرِظ ففقد فصار مثلًا، والتّقريظ: مدحك أخاك وشدة تزيينك أمره، وقرظته تقريظًا [5].

ومُشْرِفٌ والفَوارِسُ: مَوضِعَانِ؛ فالشاعر يقولُ: نظرتُ إلى ظُعُن يَجُزْنَ بين هذين الموضعينِ[6]، وعند إبدال الضاد ظاءً يتغير المعنى كما هو واضح.

5- قال أبو ذؤيب الهذلي:

فِراقٌ كقَيْضِ السن فالصبرَ إنّه * لكلّ أُناسٍ عَثْرَةٌ وجُبورُ [7]**

قيض (بالضاد): قال أبو زيد: انْقاضَ الجدارُ انْقِياضًا، أي تصدَّع من غير أن يسقط، فإن سقط قيل: تَقَيَّضَ تَقَيُّضًا. وتَقَيَّضَتِ البيضةُ تَقَيُّضًا، إذا انكسرتْ فِلَقًا. قال: فإن تصدَّعتْ ولم تنفلق

---

(1) التبريزي، شرح ديوان الحماسة (ص: 363).
(2) الفارابي، معجم ديوان الأدب (2/ 168).
(3) الفراهيدي، العين (ج5/ 50).
(4) ابن منظور، لسان العرب (ج219/7).
(5) الفراهيدي، العين (ج5/ 133).
(6) ابن منظور، لسان العرب (ج219/7).
(7) ابن دريد، جمهرة اللغة (2/ 896).

قيل: انقاضت فهى منقاضة. قال الأصمعيّ: انْقاضَتِ الرَكِيَّةُ، وانْقاضَت السِنُّ، أي تَشَقَّقَتْ طولًا[1].

قيظ (بالظاء): صميم الصّيف، شِدَّة الحَرِّ، يقول القائل: "أتى في قيْظ النهار" أي في شدة الحر ظهيرةً [2].

في هذا البيت يشبه الشاعر الفراق بانشقاق السن، وعند إبدال الضاد ظاءً ينتقل المشبه به من تصدع وانشقاق السن إلى شدة الحر.

6- قَول الراجز:

سألْتُ هَلْ وصْلٌ فَقَالَت مِضٌّ * وحرّكت لي رأسهَا بالنّغْص** [3]

مض (بالضاد): وَقَالَ اللَّيْث: المض. أَن يَقُول الْإِنْسَان بِطرف لِسَانه شبه " لَا "، وَهُوَ " هيج " بِالْفَارِسِيَّةِ، وَقَالَ الْفراء: مض كَقَوْل الْقَائِل: " لَا " يَقُولهَا بأضراسه، فَيُقَال: مَا علمك أهلك إِلَّا مض ومض، وَبَعْضهمْ يَقُول: إِلَّا مضًا، يُوقع الْفِعْل عَلَيْهَا [4].

مظ (بالظاء): المَظ: الرُمَّانُ البَرّي [5].

ومعنى البيت: أنه سألها الوصل فأشارت بلسانها أن لا وصل، ولو أبدلنا الضاد ظاءً لاختل المعنى وتغير المراد كما هو واضح.

7- يقول مُحَمَّد بنُ عَبْد الله الأَزْديّ:

وَقد يَحْمِلُ السيفَ المُجَرَّبَ رَبُّه * على ضَلَعٍ فِي مَتْنِه وَهُوَ قاطِعُ** [6]

ضلع (بالضاد): الضَّلَع: الاعوجاج في الرمح والسيف ونحوهما، يقال: سيفٌ ضَلِعٌ[7]

---

(1) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ج3/ 1103).
(2) انظر: عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج3/ 1885).
(3) السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (3/ 112)، والبيت بلا نسبة.
(4) الأزهري، تهذيب اللغة (ج11/ 332).
(5) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ج3/ 1180).
(6) الزَّبيدي، تاج العروس (ج421/21).
(7) الحميرى، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (ج6/ 3991).

ظلع (بالظاء): الظَّلْعُ: كالغَمْزِ. ظَلَعَ الرجلُ والدابةُ فِي مَشْيِه يَظْلَعُ ظَلْعًا: عَرَجَ وغمزَ فِي مَشْيِه [1].

يقول الشاعر في هذا البيت بأن السيف المعوج قد يكون قاطعًا وبتارًا ذا فائدة إذا كان حامله فارسًا صنديدًا، "وهذا ضربُ مثلٍ للشيخ الذي قد انحنى ظهره من الكبر لأنه لا يضره ذلك مع عقله وجودة رأيه"[2]، وعند إبدال الضاد ظاءً يتغير المعنى كما هو واضح.

8- يقول طرفة بن العبد:

وظُلمُ ذوي القُرْبى أَشَدُّ مَضَاضَةً * على المرءِ من وَقْعِ الحُسامِ المُهنّدِ** [3]

مضاضةً (بالضاد): مضّني الأمر وأمضني: بلغ من قلبي وأثر في نفسي تهييج الحزن والغضب[4].

بينما مظاظة (بالظاء): ماظَّه مُماظَّة ومِظاظًا: خَاصَمَهُ وشاتمَه وشارَّه ونازَعَه وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلا مُقابَلة مِنْهُمَا، وَفِيهِ مَظاظةٌ أَي شدَّة خُلُق[5].

ونلحظ أنه في المضاضة تكون المخاصمة والظلم من طرف واحد، بينما المظاظة تكون من طرفين متبادلين للمخاصمة والمشاتمة.

يوضح الشاعر في هذا البيت أن ظلم الأقارب أشد تأثيرًا في تهييج نار الحزن والغضب من وقع السيف القاطع المحدد أو المطبوع بالهند [6]، فلفظ المضاضة أنسب في هذا البيت؛ لأن المخاصمة والظلم هنا من طرفٍ واحدٍ.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب (ج243/8).
(2) الحميرى، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (ج6/ 3991).
(3) ابن العَبْد، ديوان طرفة بن العبد (ص: 27).
(4) الزوزني، شرح المعلقات السبع (ص: 113).
(5) ابن منظور، لسان العرب (ج463/7).
(6) الزوزني، شرح المعلقات السبع (ص: 113).

9- قال ابن الرومي:

أقمت لكى تزداد نعماك نعمة * وتغنى بوجه ناضر غير شاحب**[1].

مر معنا في شرح المعنى في آية (وجوه يومئذ ناضرة) الفرق بين ناضر وناظر، حيث إن معنى ناضر (بالضاد): حسن وبهيج وجميل، بينما معنى ناظر (بالظاء): ناظر بالعين أي أنّ هذا اللفظ متعلق بحاسة العين وهي الرؤية.

وفي هذا البيت يصف الشاعر الوجه بالجمال والحسن والبهاء، وعند إبدال الضاد ظاءً يتغير المعنى كما هو واضح.

10- قال الشاعر:

فوَّقَ السهمَ ولم يرمِ به * وعلى العضمِ من القوسِ قَبَضْ**[2]

العضم (بالضاد): العَضْمُ فِي القَوْسِ: المَعْجِس، وَهُوَ مَقْبِضُ القَوْسِ، والعَضْمُ والعَجْسُ والمَقْبِضُ كُلُّه بِمَعْنًى واحدٍ، والجمعِ عِضامٌ [3]

بينما العظم (بالظاء): فعظم كل شيء من الإنس والحيوان، وجمعه: عظام [4].

يتحدث الشاعر في هذا البيت عن حال الرامي وهو يضع قبضته على مقبض القوس مستعدًا للرمي على أعدائه، وعند إبدال الضاد ظاءً يتغير المعنى كما هو واضح، ويصبح القبض على العظم وليس على مقبض القوس.

ختامًا، نستنتج من هذه الشواهد والأمثلة المتنوعة أنّ الضادَ حرفٌ مستقلٌ بذاته، له مخرجه الخاص، وأبنيته الخاصة المرتبطة بدلالاتها المعجمية الخاصة، وأي تغير يطرأ على الحرف غالبًا ما يؤدي إلى تغير في المعنى كما مرّ معنا، وبالتالي ينبغي الحفاظ على مخرج وصفات الضاد وعدم إبدالها لغير حاجةٍ صرفيةٍ منصوصٍ عليها عند العلماء.

(1) ابن الرومي، ديوانه (مج285/1).
(2) البيت بلا نسبة (ابن منظور، لسان العرب (ج450/4)).
(3) ابن منظور، لسان العرب (ج408/12).
(4) ابن الصابُوني، معرفة الفرق بين الضاد والظاء (ص22).

الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث.

أولًا: النتائج:

1. صوت الضاد حرفٌ دار حوله جدل طويل في اللغة العربية، ولا تكاد تجد في كتب التجويد ولا في كتب الصوتيات العربية أكثر إثارة للجدل من حرف الضاد.
2. تميُّز اللسان العربي بصوت الضاد إنما هو بكثرة استعماله له، لا في تفرُّده به.
3. مشكلة النطق بالضاد هي مشكلة قديمة حديثة، لكنّ هذه المشكلة بازدياد مع تقدم الزمن، واختلاف البيئات، والتداخل مع الأعاجم، وتنوع المؤثرات واللهجات.
4. هناك اتجاهان في معالجة مشكلة صوت الضاد من حيث التصنيف والتأليف؛ الأول يتمثل في العناية بالألفاظ التي تنطق بالضاد والظاء والاشتغال بحصرها، أما الاتجاه الثاني: فيتمثل بدراسة الخصائص النطقية لصوت الضاد اللسانية، ومشاكلها الصوتية.
5. مخرج صوت الضاد العربية جانبي من إحدى حافتي اللسان أو كليهما مع ما يليها من الأضراس العليا.
6. الأحرف التي تلقب بالشجرية أربعة الضاد والجيم والشين والياء ولا يوجد حرف خامس زائدة على هذه الأربعة يلقب بالشجري.
7. أصبح مصطلحُ (الضاد الضعيفة) الذي وضعه سيبويه يُطلقُ على كل انحراف وتغيُّر على صوت الضاد الأصلية، وساعد على ذلك غموض تفسير سيويه لهذا المصطلح.
8. انتقل مخرج الضاد عند المحدثين من حافة اللسان مع الأضراس العليا إلى طرف اللسان، أي أنه انتقل من صوت جانبي إلى صوت أسناني لثوي كما يصفه المحدثون.
9. صعوبة الضاد هو أمر نسبي يختلف من إنسان إلى آخر، وتقل صعوبة النطق بحرف الضاد كلما زاد التدريب والمران عليه.
10. اتفق العلماء القدماء والمحدثون على إثبات صفات الإطباق والاستعلاء والجهر لصوت الضاد، بينما اختلفوا على صفات الشدة والرخاوة والاستطالة؛ وذلك بناءً على تغير مخرج الضاد عند المحدثين من حافة اللسان إلى طرفه.

11. الضاد تميزت عن غيرها من الحروف بصفة الاستطالة؛ وذلك لطبيعة مخرجها الجانبي وما فيها من صفات القوة، وصفة الاستطالة تعني امتداد اللسان والصوت في مخرج حرف الضاد، كما أن هذه الضاد المستطيلة تلاشت في اللهجات العامية نظرًا لتغير مخرجها.
12. الضاد القديمة الفصيحة توصف بالتفشي وتفشيها يكون في استطالتها في مخرجها، أي أن المقصود بالتفشي في حرف الضاد هو صفة الاستطالة.
13. الضاد تتميز عن الظاء بمخرجها، وكذلك بصفة الاستطالة فيها، ولا يجوز إبدال الضاد ظاءً عند تلاوة القرآن لأن هذا يؤدي إلى تغيير المعنى في كثير من الحالات.
14. قد تبدل الضاد لامًا عند بعض القبائل العربية؛ بسبب القرب الكبير بين المخرجين، والاشتراك في بعض الصفات، ولكن هذا قليل ونادر.
15. ظاهرة إبدال الضاد بصوت الذال أو خلطه بصوت الزاي كانت موجودة قديمًا قبل الإسلام وبعده، إلا أنها في الوقت المعاصر لا نكاد نسمع بمثل هذه الظاهرة الصوتية إلا قليلًا.
16. الضاد صوت مستقل له أبنيته الخاصة ذات الدلالات المعجمية المميزة، وإبداله بغيره يؤدي إلى تغير دلالي في كثير من الأحيان.

ثانيًا: التوصيات:

1. العمل على عقد دورات عملية في علم الأصوات لطلاب الجامعة، وخاصة طلاب قسمي اللغة العربية والإعلام وأصول الدين.
2. إنشاء مختبرات للأصوات في الجامعات العربية تقوم على تفعيل الجانب التطبيقي العملي لمادة علم الأصوات، ومعالجة الأصوات المضطربة نطقيًا في العربية، وخاصة صوت الضاد.
3. دعم ورعاية دورات الأحكام التي تعقد في المساجد وغيرها؛ لأنها تلعب دورًا كبيرًا في تصحيح تلاوة القرآن الكريم، وتحسين نطق الحروف العربية بشكلٍ عام.
4. العمل على رعاية المجازين بالسند المتصل إلى النبي(ﷺ)، والاستفادة مما عندهم من علم وخبرات فيما يخص الأصوات القرآنية كما نزل بها القرآن الكريم؛ لأنهم أقرب الناس إلى النطق الفصيح للحروف العربية.
5. الإعداد اللغوي الصوتي الجيد لمعلمي اللغة العربية في كل مراحل التعليم، وذلك بإقامة الدوات التدريبية المتواصلة لهم، التي تضمن معالجة كل ما يستجد من الأخطاء النطقية لديهم.
6. الإفادة من البرامج الإلكترونية في تعليم الأصوات بأحسن الأساليب وأكثرها جاذبية للناشئة على أن يكون من أهدافها معالجة المشاكل الصوتية لحرف الضاد.
7. إلزام الأجهزة الإعلامية بتأهيل المذيعين والصحفيين لغويًا وصوتيًا، ويكون ذلك بالتدريب المستمر على النطق الصحيح للحروف العربية، والإلمام بالخواص الصوتية للحروف، ومعرفة الأخطاء الشائعة في نطقها، ومعالجتها، وتخصيص بعض برامجها وصفحاتها لمعالجة هذه المشاكل الصوتية.

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- **المراجع العربية**

إبراهيم، حافظ. (1987م). *ديوان حافظ إبراهيم*. ط3. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي. (2001م). *تهذيب اللغة*. تحقيق: محمد عوض مرعب. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الأندلسي، أبو حيان. (1418هـ-1998م). *ارتشاف الضرب من لسان العرب*. تحقيق: رجب عثمان محمَّد. ط1. القاهرة: الخانجيّ.

أنيس، إبراهيم. دت. *الأصوات اللغوية*. دط. مصر: مكتبة نهضة مصر.

أولمان، ستيفن. (1970م). *اللغة بين القومية والعالمية*. دط. القاهرة: دار المعارف.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (1422هـ). *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)*. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط1. بيروت: دار طوق النجاة.

براجستراسر. (1402 هـ - 1994م). *التطور النحوي*. تحقيق: رمضان عبد التواب. ط2. القاهرة: مكتبة الخانجي.

بشر، كمال محمد. (2000م). *علم الأصوات*. دط. القاهرة: دار غريب.

بشر، كمال محمد. (1980م). *علم اللغة العام*. الأصوات. دط. مصر: مؤسسة المعارف للطباعة والنشر.

البعلي، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل. (1423هـ -2003 م). *المطلع على ألفاظ المقنع*. تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب. ط1. جدة: مكتبة السوادي للتوزيع.

البهنساوي، حسام. (2004). *علم الأصوات*. ط1. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

البونسي، أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الحسن الفهري. (2004م). *كنز الكتاب ومنتخب الآداب*. تحقيق: حياة قارة. دط. أبو ظبي: المجمع الثقافي.

التبريزي، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ. دت. *شرح ديوان الحماسة*. دط. بيروت: دار القلم.

عبد النبي، ناصر علي. دت. *فصول في علم الأصوات*. ط1. القاهرة: الخانجي.

الجاحظ، عمرو بن بحر. (1988م). *البيان والتبيين*. تحقيق: عبد السلام هارون. ط7. القاهرة: مكتبة الخانجي.

الجاربردي، أحمد بن حسن. دت. *شرح الشافية*. دط. القاهرة. المكتبة الأزهرية.

الجرمي، إبراهيم محمد. (1422 هـ – 2001 م). معجم علوم القرآن. ط1. دمشق: دار القلم.

ابن الجزري، أبو بكر شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد. (1309هـ). *الحواشي المفهمة*. مصر: المطبعة الميمنية.

ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف. (1985م). *التمهيد في علم التجويد*. تحقيق: الدكتور على حسين البواب. ط1. الرياض: مكتبة المعارف.

ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف. (1422هـ –2001م). *منظومة المقدمة فيما يجب على القارئ أن يعلمه (الجزرية)*. ط1. دار المغني للنشر والتوزيع.

ابن الجزري، محمد بن محمد. دت. *النشر في القراءات العشر*، تحقيق: علي محمد الضباع. دط. لبنان: دار الكتبة العلمية.

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني. دت. *الخصائص*. تحقيق: محمد علي النجار. دط. بيروت: عالم الكتب.

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني. (2000م). *سر صناعة الإعراب*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. (1410 هـ –1990 م). *أخبار الحمقى والمغفلين*. ط1. بيروت: دار الفكر اللبناني.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد. (1407 هـ –1987 م). *تاج اللغة وصحاح العربية(الصحاح)*. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط4. بيروت: دار العلم للملايين.

ابن حبان، محمد. (1408 هـ –1988 م). *الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني. (1379هـ). *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. دط. بيروت: دار المعرفة.

حسان، تمام. (1994). *اللغة العربية معناها ومبناها*. دط. المغرب: دار الثقافة.

الحصري، محمود خليل. (1999م). *أحكام قراءة القرآن الكريم*. ط4. دمشق: دار البشائر الإسلامية.

الحُصري، إبراهيم بن علي بن تميم. دت. *زهر الآداب وثمر الألباب*. دط. بيروت: دار الجيل.

الحفيان، أحمد محمود عبد السميع الشافعى. (1421 هـ –2000 م). *الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الحمد، غانم قدوري. (1428هـ–2007م). *الدراسات الصوتية عند علماء التجويد*. ط2. عمّان: دار عمّان.

الحمد، غانم قدوري. (1425هـ–2004م). *المدخل إلى علم أصوات العربية*. ط1. عمّان: دار عمّان.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله. (1995 م). معجم *البلدان*. ط2. بيروت: دار صادر.

الحميري، نشوان بن سعيد اليمني. (1420هـ –1999 م). *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم*. تحقيق: حسين بن عبد الله العمري وآخرين. ط1. بيروت: دار الفكر المعاصر.

ابن حنبل، أحمد بن محمد. (1421 هـ –2001 م). *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون. ط1. مؤسسة الرسالة.

الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم. (1351 هـ –1932 م). *معالم السنن*، وهو شرح سنن أبي داود. ط1. حلب: المطبعة العلمية.

الخطيب، عبد اللطيف محمد. (2001م). *الضاد العربية في ضوء القراءات القرآنية*. ط1. القاهرة: عالم الكتب.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد. (1988م). *ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (المقدمة).* تحقيق: خليل شحادة. ط2. بيروت: دار الفكر.

الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد. (1407هـ -1988م). *التحديد في الإتقان والتجويد.* تحقيق: غانم قدوري الحمد. ط1. بغداد: مكتبة دار الأنبار.

الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد. (1428 هـ -2007 م). *الفرق بين الضاد والظاء فى كتاب الله عز وجل وفى المشهور من الكلام.* تحقيق: حاتم صالح الضّامن. ط1. دمشق. دار البشائر.

درار، مكي درار. (2001م). *الضاد العربية إلى أين؟* مجلة القلم جامعة اللسانية، وهران. ع1.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي. (1987م). جمهرة *اللغة*. تحقيق: رمزي منير بعلبكي. ط1. بيروت: دار العلم للملايين.

الدسوقى، محمد عبد الواحد. (1427هـ -2006 م). مجموعة *مهمة في التجويد والقراءات (15 متنًا في التجويد والقراءات).* ط1. القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

دُوزِي، رينهارت بيتر آن. (1980) *تكملة المعاجم العربية*. (ترجمة: محمَّد سَليم النعَيمي، جمال الخياط). ط1. الجمهورية العراقية: وزارة الثقافة والإعلام. دار الرشيد للنشر.

الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء. (1399هـ -1979م). معجم *مقاييس اللغة*. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دط. دار الفكر.

رضا، أحمد. (1377 -1380 هـ). معجم *متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)*. دط. بيروت: دار مكتبة الحياة.

الرضي، رضيّ الدّين محمَّد بن الحسن الاستراباذيّ. (1395 هـ -1975 م). شرح *شافية ابن الحاجب*. تحقيق: محمد نور الحسن وآخرون. دط. بيروت. دار الكتب العلمية.

ابن الرومي، علي بن العباس بن جريج. (1420هـ-2000م). *ديوان ابن الرومي*. تعليق: عمر الطباع. ط1. بيروت: شركة دار الأرقم بن دار الأرقم.

الزبيدي، محمد بن محمد. (د. ت). *تاج العروس*. تحقيق مجموعة مِنَ المحققين. (د. ط). دار الهداية.

زيدان، جرجي. دت. تاريخ آداب اللغة العربية. دط. القاهرة: دار الهلال.

الزيدي، كاصد. (2003م). *دراسات نقدية في اللغة والنحو*. ط1. الأردن: دار أسامة.

سعدون، أحمد. (2006م). *توظيف حرف الظاء في القرآن الكريم*. (رسالة ماجستير). جامعة الجزائر، الجزائر.

سويد، أيمن. دت. *التجويد المصور*. دط. دمشق: دار الغوثاني للدراسات القرآنية.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. (1408هـ-1988م). *الكتاب*. تحقيق وشرح: عبد السلام هارون. ط3. القاهرة: مكتبة الخانجي.

السيد، محمود أحمد. (1989). *شؤون لغوية*. دط. دمشق: دار الفكر.

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل. (1417هـ -1996م). *المخصص*. تحقيق: خليل جفال. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن سينا، الحسين بن عبد الله. (1983م). *أسباب حدوث الحروف*. تحقيق: محمد حسان الطيان ويحيى مير علم. ط1. دمشق: دار الفكر.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (1998م). *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*. تحقيق: فؤاد علي منصور. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. دت. *همع الهوامع في شرح جمع الجوامع*. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. دط. مصر: المكتبة التوفيقية.

الشاطبي، القاسم بن فيره بن خلف. (1426 هـ -2005 م). *متن الشاطبية، حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع*. تحقيق: محمد تميم الزعبي. ط4. عين مليلة، دمشق: مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية.

الشافعي، محمد بن إدريس بن العباس. (1940م). *الرسالة*. تحقيق: أحمد شاكر. ط1. مصر: مكتبة الحلبي.

أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن. دت. *إبراز المعاني من حرز الأماني*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

شُرَّاب، محمد بن محمد حسن. (1427 هـ– 2007 م). *شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية*. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

شرف، جمال الدين محمد. (1426هـ–2006م). *مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة*. ط2. طنطا: دار الصحابة للتراث.

الشمسان، أبو أوس إبراهيم. (2003م). *تباين كتابة الأسماء العربية في الحروف والتشكيل: صوره وأسبابه*.دط. الرياض: أكاديمية الأمير نايف العربية للعلوم الأمنية.

ابن الصابُوني، محمد بن أحمد الصدفي. (1426 هـ –2005 م). *معرفة الفرق بين الضاد والظاء*. تحقيق: حاتم صالح الضامن. ط1. دمشق: دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع.

الصفاقسي، علي بن محمد بن سالم. دت. *تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين*. تحقيق: محمد الشاذلي النيفر. مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله.

الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح الكحلاني. (1432 هـ –2011 م). *التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ*. تحقيق: محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم. ط1. الرياض: مكتبة دار السلام.

الصيغ، عبد العزيز. (1427هـ–2007م). *المصطلح الصوتي في الدراسات العربية*. ط1. دمشق. دار الفكر.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب. (1405هـ – 1985م). *الروض الداني (المعجم الصغير)*.
تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير. ط1. المكتب الإسلامي ، دار عمار – بيروت ، عمان.

أبو الطيب، عبد الواحد بن علي الحلبي اللغوي. (1380هـ–1961م). *الإبدال*. تحقيق: عز الدين التنوخي. دمشق: مجمع اللغة العربية.

ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي. (1998). *تفسير اللباب*. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

العبد، محمود بن محمد عبد المنعم. (1422هـ –2001م). *الروضة الندية شرح متن الجزرية*. صححه وعلق عليه: السادات السيد منصور أحمد. ط1. القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث.

ابن العَبْد، طَرَفَة. (1423 هـ –2002 م). *ديوان طرفة بن العبد*. تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين. ط3. بيروت: دار الكتب العلمية.

عبد التواب، رمضان. (1417هـ –1997م). *المدخل إلى علم اللغة*. ط3. القاهرة: مكتبة الخانجي.

عبد التواب، رمضان. (1391هـ–1971م). مشكلة الضاد العربية وتراث الضاد والظاء. *مجلة المجمع العلمي العراقي*. مجلد 21. جزء 2. (ص220).

عبد الحميد، سعاد. دت. *تيسير الرحمن في تجويد القرآن*. دط. شبرا الخيمة: دار التقوى.

ابن عصفور. علي بن مؤمن الأشبيليّ. (1416هـ–1996م). *الممتع الكبير في التصريف*. ط1. بيروت: مكتبة لبنان.

عمايرة، خليل أحمد. (1987م). *في التحليل اللغوي*. ط1. بيروت: مكتبة المنار.

عمر، أحمد مختار عبد الحميد. (1997م). *إنتاج الصوت اللغوي*. دط. القاهرة: عالم الكتب.

عمر، أحمد مختار عبد الحميد. (1429 هـ –2008 م). *معجم اللغة العربية المعاصرة*. ط1. القاهرة: عالم الكتب.

العنزي، عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع. (2007 م). *المنهاجُ المختَصر في عِلمي النَّحو وَالصَّرف*. ط3. بيروت: مؤسَسَة الريَّان للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن عيسى، كبير. (2012م). الفونات صوت الضاد. *الألوكة الأدبية واللغوية*، ع(21). تاريخ الاطلاع: 20يوليو 2017م.

الموقع:http://www.alukah.net/literature_language/0/45862/

العينى، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى. دت. *عمدة القاري شرح صحيح البخاري*. دط. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم. (1424 هـ –2003 م). عجم *ديوان الأدب*. تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر. دط. القاهرة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني. (1997م). *الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها*. ط1. الناشر: محمد علي بيضون.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد الفراهيدي. *العين*. تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي. القاهرة: دار ومكتبة الهلال.

فلش، هنري. (1966م). *العربية الفصحى*. ترجمة: عبد الصبور شاهين. ط1، بيروت: المطبعة الكاثوليكية.

فندريس، جوزيف. (1950 م). *اللغة*. ترجمة: عبد الحميد الدواخلى، محمد القصاص. مكتبة الأنجلو المصرية.

الفيروز أبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. (1426 هـ -2005م). *القاموس المحيط*. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي. ط8. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي. دت. *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*. دط. بيروت: المكتبة العلمية.

ابن قاسم، حسن النحوي. (1407 هـ). *المفيد في شرح عمدة المجيد*. تحقيق: على حسين البواب. الزرقاء: مكتبة المنار.

قباوة، فخر الدين. (2001م). *الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد*. ط1. القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر.

القرطبي، عبد الوهاب بن محمد. (1421هـ . 2000م). *الموضح في التجويد*. تحقيق: غانم قدوري الحمد. ط1. الأردن: دار عمار.

القرطبي، محمد بن أحمد. (1406 هـ -1986 م). *التذكار في أفضل الأذكار من القرآن الكريم*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن مالك، جمال الدين محمد. (1985م). *الاعتماد في نظائر الظاء والضاد*. تحقيق: د. حاتم الضامن. ط3. بيروت: مؤسسة الرسالة.

المبرد، محمد بن يزيد. (1399هـ-1979م). *المقتضب*. تحقيق: محمد بن عبد الخالق عضيمة. ط2. القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي.

المتنبي، أبو الطيب. (1403هـ–1983م). *ديوان المتنبي*. دط. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.

محيسن، محمد محمد محمد سالم. (1417 هـ –1997 م). *الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر*. ط1. بيروت: دار الجيل.

المرصفي، عبد الفتاح بن السيد عجمي بن السيد العسس. دت. *هداية القاري إلى كلام الباري*. ط2. المدينة المنورة: مكتبة طيبة.

المرعشي، محمد بن أبي بكر. (2003م). *كيفية أداء الضاد*. تحقيق: حاتم صالح الضامن. ط1. دمشق: دار البشائر.

مسلم، بن الحجاج. دت. *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دط. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

مصطفى، إبراهيم وآخرون. (1432هـ–2011م). *المعجم الوسيط*. ط5. مصر الجديدة. مكتبة الشروق الدولية.

المصري، محمود بن علي بسّة. (1425 هـ –2004 م). *العميد في علم التجويد*. تحقيق: محمد الصادق قمحاوى. ط1. الإسكندرية: دار العقيدة.

مطران، خليل. (1975م). *ديوان الخليل*. دط. لبنان: دار مارون عبود.

مطر، عبد العزيز. (1967م). *لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط*. دط. القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.

مكي، مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي. (1996م) *الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة*. تحقيق: أحمد حسن فرحات. ط3. الأردن: دار عمار.

ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي. (1429 هـ –2008 م). *التوضيح لشرح الجامع الصحيح*. تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث. ط1. دمشق. دار النوادر.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (1414 هـ–1994م). *لسان العرب*. تحقيق: مجموعة من اللغويين. ط3. بيروت: دار صادر.

النووي، محيي الدين يحيى بن شرف. دت. المجموع شرح المهذب. دط. بيروت: دار الفكر.

النووي، محيي الدين يحيى بن شرف. (1392هـ). *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*. ط2. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الهروي، أبو عبيد أحمد بن محمد. (1419 هـ –1999 م). *الغريبين في القرآن والحديث*. تحقيق: أحمد فريد المزيدي. ط1. المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز.

هريدي، أحمد عبد الحميد. (2001م). *صوت الضاد وتغيراته في ضوء المعجم العربي*. دط. القاهرة: مكتبة الخانجي.

الواسطي، ابن الوجيه. (1425هـ–2004 م). *الكنز في القراءات*. تحقيق: خالد المشهداني. ط1. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

وافي، علي عبد الوحد. (1967م). *علم اللغة*. ط6. القاهرة: دار نهضة مصر.

أبو الوفا، على الله بن علي. (1424 هـ –2003 م). *القول السديد في علم التجويد*. ط3. المنصورة: دار الوفاء.

ابن يعيش، يعيش بن علي. (1422هـ–2001م). *شرح المفصل*. قدَّم له: إميل يعقوب. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
1-	﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾	الفاتحة	7	48، 54، 68، 74
2-	﴿فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم﴾	البقرة	232	72
3-	﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ﴾	آل عمران	119	71
4-	﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾	آل عمران	159	70
5-	﴿وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾	النساء	19	73
6-	﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾	المائدة	83	73
7-	﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾	الأنعام	24	69
8-	﴿قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾	الأنعام	56	69
9-	﴿وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾	التوبة	92	73

10-	﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾	هود	44	68
11-	﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُ﴾	الرعد	8	68
12-	﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ﴾	الحجر	91	70
13-	﴿ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ﴾	النحل	58	54
14-	﴿ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ﴾	الإسراء	67	54
15-	﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى﴾	طه	62	55
16-	﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ﴾	الفرقان	27	72
17-	﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢﴾	الروم	22	3
18-	﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾	الزمر	28	ت
19-	﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾	الأحقاف	15	ج
20-	﴿وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا﴾	نوح	7	55
21-	﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ﴾	القيامة	22	71
22-	﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ﴾	التكوير	24	68
23-	﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾	الفجر	18	67
24-	﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾	الماعون	3	68

فهـــرس الأحاديث

فهرس الشواهد الشعرية

قاطعُ	الطويل	محمد بن عبدالله الأزدي	87
مجلفُ	الطويل	الفرزدق	72
تروقُ	الطويل	حميد بن ثور الهلالي	84
مًا تلا	الطويل	الشاطبي	21
بأغفلًا	الطويل	الشاطبي	42
البومُ	البسيط	ذو الرمة	79
تَبْتَغُونَا	الطويل	خليل مطران	10
معانِ	الرجز	علم الدين السخاوي	57
عرفانِ	الرجز	علم الدين السخاوي	57
لسانِ	الرجز	علم الدين السخاوي	57

تمّ بحمد الله